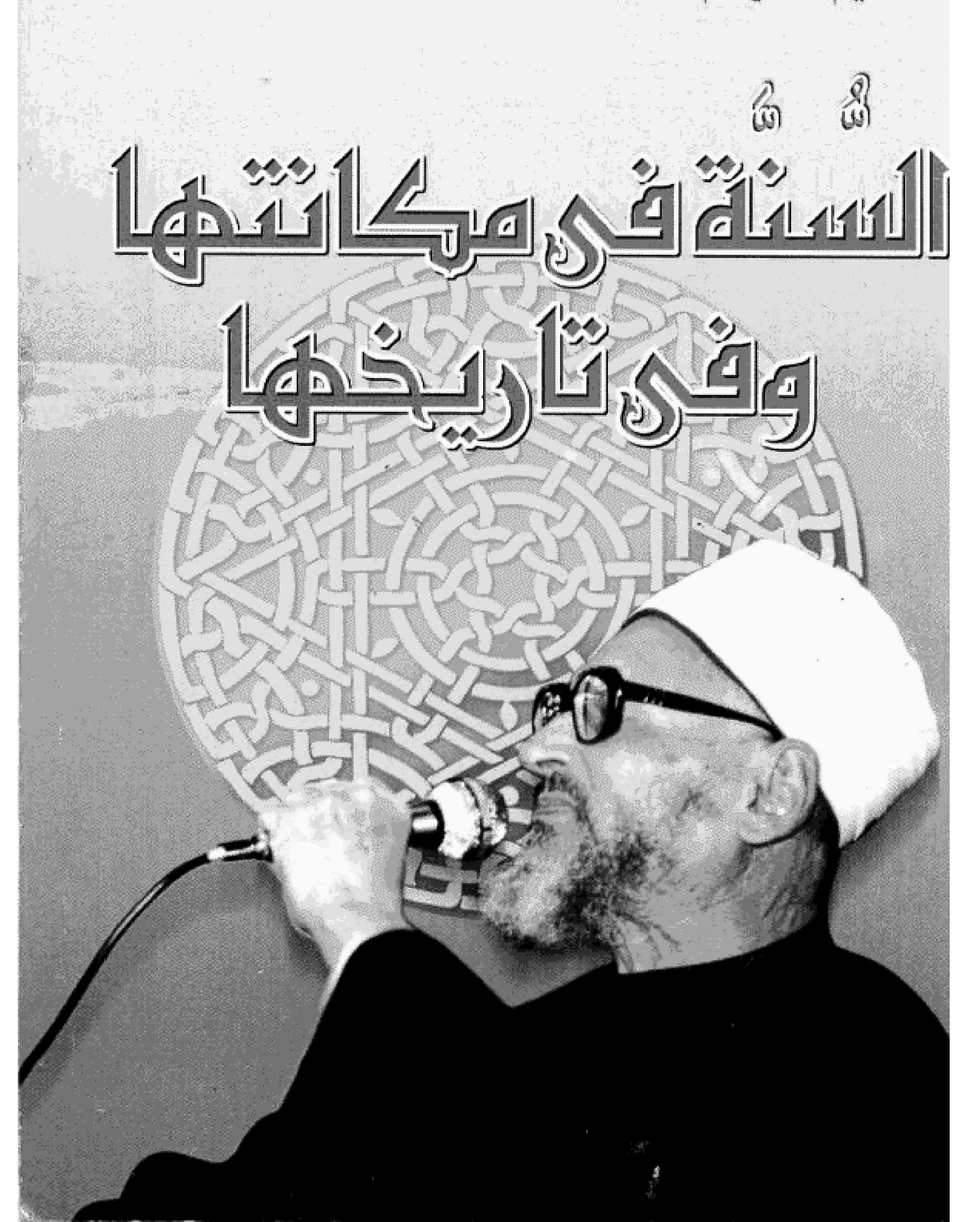
إمام الدكتور
د الحليم محمود

السنة في مكانتها وفي تاريخها



السُّنَّة فى مكانتها وفى تاريخها

الدكتور
عبد الحليم محمود

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتـــــاب : السنة فى مكانتها وفى تاريخها
المـــؤلـــف : د/ عبد الحليم محمـــود
رقــم الإيــداع : ٩٨/١٠٧٠٨
التـرقـيم الدولى : I S B N 977-215-357-2

الناشـــــر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطـابـع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)
ت : ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

التـوزيـــع : دار غريب ١، ٣ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة
ت : ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التســويق والمعــرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحـاس مدينة نصـر - الدور الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

يقول الله تعالى : ﴿ مَن يُطعِ الرَّسُولَ فقدْ أطاعَ اللَّه ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

ويقول : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

وفى حديث صحيح يقول المقدام بن معدى كرب : «حرم النبى ﷺ أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الأهلى وغيره ، فقال رسول الله ﷺ : يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته ، يحدث بحديثى ، فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه . وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله» .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

مقدمة

يحب القراء عادة أن يعرفوا شيئا عن ظروف تأليف الكتب التى يقرءونها ، لأن ذلك يضعهم فى جو يمهد لهم تقدير الكتاب فى صورة أعمق : حيث عرفوا الظروف والملابسات ، ولأن ذلك يقربهم من جو الكاتب النفسى ، ويدخلهم ، نوعا ما ، فى محيطه الخاص ، فتكون بينهم وبينه - على البعد - بعض أسباب الألفة .

ومن أجل توضيح ذلك أكتب هذه المقدمة : إن السنة : دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقا ، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .

وإلى العامل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .

وإلى الصانع أن يؤدى العمل كما يجب، حيث أخذ الأجر، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهى دعـوة إلى الأب ، باعـتـبـاره أبا ، وإلى الأم فى وضعها كأم ، وإلى الأخ فى مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته لأنه مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

وهى دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

وإلى الصدق ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا .

وإلى الرحمة : الرحمة العامة الشاملة ، وصلوات الله وسلامه على من قال :

«إنما أنا رحمة مهداة» .

ومن قال : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» .

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع : فستجد فى السنة دعوة إليه ، بوسيلة وبأخرى ، وبثالثة .

وهى فى هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الإسلامية فى الأخلاق العالمية : إن دورها : إنما هو دور

الرائدة الراعية ، وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى ، والأسوة الكريمة ، والقدوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ، ﷺ : الصورة الحية الناطقة التى طبقت - كمبادئ إنسانية ممكنة - الخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء ، والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة كان العلماء المستنيرون فى كل عصر : يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التى تعبر عنها ، وكان هؤلاء العلماء- علماء السنة - يعرفون بسيماهم ، فقد كانوا من الزهد فى حطام الدنيا ، بحيث لا ينازعون الناس فى دنياهم :

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك ذى الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل : لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله ﷺ .

والمثل الذى نحب أن نسوقه - كصورة لهؤلاء القوم - هو: الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه، إنه المحدث الذى حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ، ﷺ، فى الزاوية الأخلاقية .

وسيرة الإمام ، رضوان الله عليه : مثل أعلى فى التمسك بما يراه حقا ، وفى الصبر على ما يناله فى سبيل التمسك بالحق .

على أن كل من تشبع بالسنة حقا : إنما هو صورة ، قريبة بقدر المستطاع ، من الإمام أحمد .

ولقد كان الإمام البخارى وغيره ممن أشربت نفوسهم حب السنة : أمثلة كريمة للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف دائما لسهام النماذج الأثيمة التى استهواها الشيطان فى قليل أو فى كثير : إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزغات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

لقد ربت السنة رجالا ، وخصائصها التى ربت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها . ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال ، وأولتهم ثقتها وتقديرها .

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام البخارى ، وأمير المؤمنين فى الحديث : الإمام سفيان الثورى ، وأمثال هؤلاء ، رضى الله عنهم : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لابد إذن من العمل على نشر السنة وإذاعتها ، ومحاولة الإكثار من النفوس التى تتشربها وتحققها وتتمثلها وتحياها .

لابد من نشرها وطنية .

ولابد من نشرها إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنسانى .

ولابد من نشرها دينا .

ولابد من نشرها ذوقا أدبيا .

ولابد من نشرها للثروة اللغوية .. ومن أجل ذلك تكونت «دار الحديث» .

وهى دار أسست على التقوى من أول يوم .

ولقد دعا إليها السيد / حسن عباس زكى : (وزير الاقتصاد) ، واستجابت له طائفة من العاملين فى المجال الدينى .

ولقد ظفرت الدار من أول أمرها بتشجيع ولاة الأمور : لقد ظفرت بوعد من السيد نائب رئيس الوزراء للثقافة والإرشاد : أن يفسح لها مجالا فى «التليفزيون» لبرنامج أسبوعى بعنوان : «من هدى الرسول ، ﷺ» .

وبوعد من السيد نائب رئيس الوزراء للأوقاف ، أن يساعدها المساعدة الفعالة التى تجعل الدار فى سعة من حيث طبع ما تراه صالحا لنشر السنة ، وتدعيم جوها الفكرى والروحى واللغوى .

وما من شك فى أن للسنة جوا فكريا ، فالرسول ، ﷺ ، يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم ، التى تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التى تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التى ينبغى أن تسود المجتمع الإنسانى ، وعن الأوضاع التى يجب أن تستقيم .

وللسنة : جو لغوى : فالرسول ، ﷺ قد أوتى جوامع

الكلم ، وكـلامـه ، ﷺ : أبلغ الكلام البـشـرى ، ونشـر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية اللغة التى يكتب بها الكتاب، وعلى وضع الناشـئين والمثـقـفـين فى وضع أدبى ممتـاز ، من حيث اللغة ، ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحى : إنها تهذيب للنفس ، وتربية للروح ، وسمو بالأخلاق إلى درجة لاتجارى ، وﷺ على من قال :

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

ورحم الله شوقى إذ يقول :

وإنما الأمم الأخـلاق مـا بقـيت

فـإن همـو ذهبت أخـلاقـهم ذهبـوا

ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجبا دينيا ، وعملا اجتماعيا كريما ، وواجبا وطنيا حتميا ، وإصلاحا أخلاقيا ساميا .

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة فى عصر تحاول الرذيلة فيـه أن تعـمم الانحـلال الخلقى فى كل أسـرة وفى كل بيت ، ويحاول الفساد أن يأتى على مقدسات الأمة ومقوماتها: من عرض وشرف وكرامة .

ومن أجل كل هذه المعانى أيضا تكونت «**دار الحديث**» .

ونعود فنقول - زيادة فى الإيضاح - : إن «دار الحديث» لم تتكون كدار للبحث العلمى فحسب - وما من شك فى أن البحث العلمى فى السنة من أهم أغراضها - وإنما تكونت من أجل :

الفن فى السنة : أى بلاغتها وجمالها .

ومن أجل الأخلاق فى السنة .

ومن أجل التشريع وبيان التشريع .

وتكونت حبا فى صاحب السنة ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذى رسم بسلوكه وبقوله أسمى ما يمكن أن تصل الإنسانية إليه فى مختلف عصورها .

لقد أحب الله للإنسانية مثالا أخلاقيا كريما رسمه سبحانه فى القرآن الكريم قولا ، فكان الرسول ﷺ الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهى ، وكان بذلك الإنسان الكامل .

لقد كان المثل الأعلى فى الرحمة ، والمثل الأعلى فى الكفاح ، والمثل الأعلى فى الصبر ، المجاهد المتفائل ، والمثل الأعلى فى الصدق ، فى الإخلاص ، فى الوفاء ، فى البر ، فى الكرم .

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ولا ريب فى أن الأمة الاسلامية حينما تقتدى بالرسول ﷺ : إنما تقتدى بأعظم البشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

وإن العمل على نشر السنة إنما هوتوجيه للاقتداء بالرسول ، ﷺ .

ومن أجل ذلك أيضا تكونت «دار الحديث» .

وأخذت تعمل فى هذا الإطار ، وفى أوسع من هذا الإطار .

ومما رأت أن تحققه كمشروع من مشاريعها : «موسوعة السنة» وموسوعة السنة - فى تخطيط الدار - تشتمل على :

١ - مقدمة عن السنة : مكانة وتاريخا .

٢ - ترتيب المصطلحات الحديثية ترتيبا أبجديا ، وشرحها .

٣ - ترتيب رجال الحديث أبجديا والكتابة عنهم .

٤ - جمع الأحاديث منسقة على طرق شتى ، بحيث تيسر للباحثين الوصول إلى أهدافهم بوسائل متعددة .

وأخذ أعضاء الدار يعملون.

وإن هذا الكتاب الحاضر إنما هو من ثمار توجيه الدار ومن بركاتها .

والله أرجو : أن يجعله عام النفع .

وأن يهدى به .

وأن يجعله ذخيرة ، ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

عبد الحليم محمود

الفصل الأول

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسنته الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

خاتم الأنبياء

يقول الله تعالى لرسوله الكريم ، ﷺ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله : فموسى عليه السلام : أرسل لبنى إسرائيل خاصة : لقد اقتصرت دعوته على بنى إسرائيل ، لدرجة أنه حينما ذهب هو وهارون ، عليهما السلام ، إلى فرعون ، قالا له : ﴿ إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ .

فموسى ذهب إلى فرعون ليرسل معه بنى إسرائيل . ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب ، أو الأمم فى سبيل دعوته .

وعيسى ، عليه السلام ، إنما أرسل إلى .. «خراف بنى إسرائيل الضالة» ، على حد تعبيرهم القديم ، ولم يحاول

سيدنا عيسى أن يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

أما رسول الله ، ﷺ : فإنه أرسل إلى الناس جميعا : إنه أرسل إلى الناس جميعا من حيث المكان ، وأرسل إليهم جميعا من حيث الزمان ، فهو الرسول الدائم زمانا ومكانا : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .

وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذى أنزله على رسوله، ﷺ ، ضمانا لهذا العموم فى الزمان وفى المكان ، وتحقيقا له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ومن أجل هذا الوعد بحفظ الوحى كاملا غير منقوص ، صحيحا غير مزيف ، كانت الحكمة الإلهية فى أن الإنسانية لا تحتاج إلى رسول بعد الرسول ، ولا إلى نبى بعد النبى ، إنه، صلوات الله وسلامه عليه : خاتم الرسل ، وخاتم الأنبياء .

ولقد امتزج رسول الله ، ﷺ ، برسالته الخالدة ، فكان هو هى : شرحا وتفصيلا .

وكانت هى هو بيانا لمعدنه وجوهره ، وخلافة له ، ونيابة عنه .

تقول السيدة عائشة ، رضى الله عنها : «لقد كان خلقه

القرآن» وهذه الكلمة من السيدة عائشة ، رضوان الله عليها : تحتاج إلى تحديد وبيان : ذلك أن القرآن : يحدد الخلق الكريم فى حده الأدنى ، ثم لا يقتصر على ذلك ، وإنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق ، ويوجه إلى السنام منها ،ويقود إلى المشارف العليا من درجات المقربين .

فهل تريد السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، حينما تصفه، ﷺ ، بأن خلقه القرآن : هل تريد الخلق الكريم فى حده الأدنى ، أم تريده فى حده الأوسط ، أم تريده فى حده الأسمى ؟

إن القرآن يحدد الدرجة التى وصل إليها الرسول ، ﷺ : من الخلق القرآنى : فيقول ، سبحانه لرسوله ، ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

هذه الآية القرآنية الكريمة : تحدد درجة الأخلاق القرآنية التى وصل إليها الرسول ، ﷺ ، إنها ذروتها وسنامها .

أول المسلمين

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه :

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

إنه ﷺ ، بعث ليتمم المكارم الأخلاقية : ليتممها بذاته : بسلوكه ، وليتممها بقوله : برسالته .

إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب ، وإنما بعث ليتمم مكارمها .

ومكارم الأخلاق : لم تكن - قبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه - قد تمت : إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة ، كان ينقصها أكمل صفة لمكارم الأخلاق ، وهى إسلام الوجه لله إسلاما تاما . إن الكائنات لم تكن قد وصلت - لا فى نبى مرسل ، ولا فى ملك مقرب - إلى الذروة من إسلام الوجه لله .

والذروة من إسلام الوجه لله ، أو أول المسلمين - والتعبيران سواء - إنما هو الذروة من مكارم الأخلاق .

إنه الكائن الربانى : إنه أول المسلمين ، أولهم بإطلاق ، أولهم بالنسبة للملائكة ، وأولهم بالنسبة لبنى آدم ، أولهم قديما ، وأولهم إلى الأبد ... إن أول المسلمين : لم يكن قد وجد بعد .

وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت الكائنات كلها بذلك ناقصة .

كان الكون ناقصا مادة ومعنى ، كان ينقصه أن تتعطر أرضه بأزكى الأجساد ، وأن يتعطر جوه بأزكى الأرواح ، وكان

لابد من وجود كائن بهذه المثابة يكمل الله به الدين ، ويتم به النعمة ، ويرضى رسالته دينا عاما خالدا للإنسانية جمعاء : هو إسلام الوجه لله .

وينزل القرآن محددا إسلام الوجه لله وسائل ، ومحددا اسلام الوجه لله غايات ، محددا إسلام الوجه لله طرقا وأساليب، ومحددا له بواعث وأهدافا : ومن هنا كان من يبتغى غير الإسلام دينا لا يقبل منه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ وكيف يقبل منه ما يتنافى مع اسلام الوجه لله ؟

إن إسلام الوجه لله هو الذروة من مكارم الأخلاق ، وهو جوهر التدين ، إنه الدين القيم ، إنه الدين الخالد . والنص الوحيد، النص الإلهى الفريد فى العالم كله الذى يبين كيفية إسلام الوجه لله، إنما هو القرآن . وإذا ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه لله كان بذلك فى ذروة الإنسانية ، وفى الذروة من مكارم الأخلاق .

ويتفاوت الناس فى إسلام وجوههم لله ، ولابد من أن يكون أحدهم أول المسلمين ، فكان رسول الله ، ﷺ ، أولهم بإطلاق مطلق :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ولم يصف القرآن بأول المسلمين شخصا آخر غير الرسول ، ﷺ .

ومكارم الأخلاق لا يحدها - من حيث التبشير بها - مكان، ولا يحدها زمان ، بل ولا يحدها عالم من عوالم الله فى الأرض أو السماء ، ومن أجل ذلك كانت رسالته ، صلوات الله عليه وسلامه، رحمة للعالمين .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

من مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه :

ورسول الله ، ﷺ - لأنه يمثل الأخلاق القرآنية فى ذروتها وسنامها - جعل الله ، سبحانه وتعالى ، له مكانة خاصة بين المسلمين ، فهو ، صلوات الله وسلامه عليه - لأنه تمثل القرآن وحققه ، وأصبح قرآنا - أصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق بعمله ، فلا ينطق عن الهوى ، ولا يعمل بالهوى .

يقول الله، تبارك وتعالى له، معبرا عن هذه الحقيقة أروع تعبير: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ ... ﴾ .

ويقول تعالى لرسوله ، ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا ... ﴾ .

بل إن طريق الدعوة نفسه ، كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، يسير فيه معصوما ، وكل من يسير فى الدعوة على نسقه ، إنما يسير معصوما بعصمة الرسول ، ﷺ ، التى منحها الله تعالى إياه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .

ودعوته إذن وطريق دعوته : يسير فيهما على هدى ، وعلى نور من ربه ، ولذلك فإن : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

ويعمم الله ، سبحانه ، الحكم تعميما ، ويطلقه إطلاقا ، فيقول سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

واتباع الرسول ، ﷺ ، علامة على محبة الله تعالى لمن يتبعه وسبب فى حبه تعالى له :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

إن حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجعة لذلك ، وهذه الوسيلة هى : اتباع رسول الله ، ﷺ .

ولقد قال الله ، سبحانه وتعالى : فى حديث قدسى ، رواه الإمام البخارى : «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه» .

وهذه النوافل التى ذكرت فى الحديث الشريف ، والتى إذا أكثر الإنسان منها ، بعد أداء الفرائض ، أحبه الله : إنما هى سلوك رسول الله ، ﷺ ، إنها طريق رسمه ، صلوات الله عليه وسلامه ، بقوله ، وبعمله . إنها سننه ، صلوات الله وسلامه عليه، التى سنها ، لينال الإنسان بها محبة الله ، سبحانه .

من مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه أيضا :

وأحب الله ، سبحانه ، رسوله ، ﷺ ، وكان هذا الرسول بعبوديته لله سبحانه ، حبيب الله ، وبلغ الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، بعبوديته التامة درجة أول المسلمين ، كما سبق أن ذكرنا .

ولما كان أول المسلمين ، وكان حبيب الله ، ونبيه ،

ورسوله : ميزه الله ، سبحانه وتعالى ، على بقية البشر بكونه خيرهم ، وهذا التمييز لا يخرجه ، صلوات الله عليه وسلامه عن البشرية : فهو بشر وهو خير البشر : ومنتهى القول فيه أنه بشر - وأنه خير خلق الله كلهم ، ولأنه خير البشر : يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ .

إن الإنسان الذى خصه الله بالوحى ، واجتباه لرسالته ، واصطفاه ليكون - باسمه ، سبحانه - بشيرا ونذيرا ، إن هذا الإنسان الذى فضله الله على العالمين : يجب أن نعرف له مكانته وننزله فى الشرف الذى أنزله الله فيه. إن هذا السراج المنير ، إن هذا الرءوف الرحيم : ينبغى ألا يدعى كما يدعى زيد وعمرو : بمعنى لا تنادوه باسمه : فتقولوا : يا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا : يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم ، والتكريم ، والتوقير بأن تقولوا : يا رسول الله ، يا نبى الله ، يا إمام المرسلين ، يا رسول رب العالمين ، يا خاتم النبيين ، وغير ذلك ..

واستفيد من هذه الآية - كما يقول الشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين - إنه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم ، لا فى حياته ، ولا بعد وفاته ، فبهذا يعلم

أن من استخف بجنابه ، ﷺ : فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة» أ هـ .

ويقول الله سبحانه فى أوائل سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى لا تتقدموا بأمر من الأمور ، قولا كان أو فعلا ، إلا إذا أذن الله ورسوله ، وكل أمر : قولا كان أو فعلا : أتاه الإنسان بدون إذن الله ورسوله : فإنه لا يقع على السنن المستقيم .

يقول الضحاك عن ذلك : هو عام فى القتال وشرائع الدين ، أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ .

واحذروا إن فعلتم ذلك : ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

أما هؤلاء الذين أساءوا الأدب دون أن يقصدوا فأخذوا

ينادونك من وراء الحجرات مناداة الأعراب الأجلاف ، فإن عقولهم - فى الأغلب الأعم - ناقصة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

على أن مجرد الرغبة فى الحديث ، إلى رسول الله ، ﷺ ، يحتاج تنفيذها إلى تقديم صدقة ، يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة إثم ، لأن من لم يجد الصدقة فإن موقف الله سبحانه منه - لعدم قدرته - المغفرة والرحمة ، ولا تكون المغفرة والرحمة إلا على إثم أتاه الإنسان .

وعدم توافر الاستطاعة سبب فى مغفرة الله سبحانه : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ .

وإذا حملكم خوف الفقر على ألا تفعلوا ، وإذا قادكم الضعف الإنسانى إلى ألا تنفذوا ذلك ، ثم ندمتم واستغفرتم ، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم ، وأثبتوا حسن نيتكم ،

وصفاء سريرتكم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الأكمل ، وتؤتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله فى الصغير والكبير ، وما من ريب فى أن الله ، سبحانه : خبير بكل ما تعملون .

يقول تعالى : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

وبعد : فيقول رسول الله ، ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» .

ويقول الله تعالى !

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ هذا جانب من مكانة الرسول ﷺ التى أحبها الله له ، والتى نبه عليها سبحانه فى كتابه العزيز .

طاعة رسول الله من طاعة الله :

وجانب آخر أحبه الله تعالى لرسوله نريد أن نبينه : وهو أن الله ، سبحانه وتعالى ، قد فرض طاعة رسوله ، ﷺ ،

مقرونة بطاعته ، بل لقد ذكرها الله سبحانه وتعالى وحدها ، باعتبارها فرضا .

ويقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ وفى هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الإعراض عن طاعة الله أو عن طاعة الرسول : كفر . وما من شك فى أنه كفر ، ذلك أن الإيمان من أركانه : الإيمان برسول الله ، ﷺ ، وبأن كل ما أتى به صدق ، فالتولى عنه : استخفافا ، أو جحودا وإنكارا ، أو عنادا ومماراة ، ذلك كله : كفر يخرج به المعرض عن دائرة الإسلام .

يقول الله تعالى فى طاعة الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، حينما يفرده بالحديث : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

ويجعل سبحانه وتعالى ، طاعة الرسول ﷺ طاعته فيقول سبحانه : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

ويجعل بيعته صلوات الله وسلامه عليه بيعة لله ، فيقول سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وطاعة رسول الله ﷺ إنما هى فيما افترضه الله سبحانه أو سنه ، وفيما افترضه رسوله صلوات الله وسلامه عليه أو سنه .

وقد تابع الرسول ، ﷺ ، القرآن الكريم فى بيانه لمنزلة السنة: ووجوب اتباعه، ﷺ ، فيما سنه، فلقد حث رسول الله، ﷺ ، على تبليغ السنة ونشرها ، فقال : - فيما رواه أبو داود والترمذى عن زيد بن ثابت : «نضر الله وجه امرئ سمع مقالتى فحفظها ووعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع» .

وروى فى معناه من طريق آخر : «رحم الله امرءا سمع مقالتى فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع» .

وكان رسول الله ﷺ يأمر الصحابة أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ، فيقول فيما رواه أبو بكر : «ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب» .

ولقد روى الحاكم والبيهقى أن رسول الله ﷺ قال : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله ، وسنتى» .

ويقول رسول الله ، ﷺ فى خطبة الوداع : «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنتى» .

ويبين رسول الله ، ﷺ ، فيما رواه البخارى عن أبى هريرة أن المسلمين سيدخلون الجنة إلا من لا يرغب منهم فى ذلك :

يقول ﷺ : «كل أمتى يدخل الجنة إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ . قال : «من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى» .

مكانة السنة من القرآن :

وسنة رسول الله ، ﷺ : لها مكانتها بالنسبة إلى القرآن ولها مكانتها بالنسبة إلى التشريع .

إنها المصدر الثانى - بعد القرآن - للإسلام ، إنها المصدر الثانى للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثانى للإسلام باعتباره تشريعا ، والمصدر الثانى للإسلام باعتباره أخلاقا .

أما منزلتها بالنسبة إلى القرآن فإنها ، حسبما يقول الإمام الشافعى : «وسنن رسول الله ، ﷺ ، مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : نص كتاب ، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله.

والآخر : جملة ، بين رسول الله فيها عن الله معنى ما أراده بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عاما ، أو خاصا ، وكيف أراد أن يأتى به العباد . وكلاهما اتبع فيه كتاب الله .

وفى كلمة أخرى يبين الإمام الشافعى الوجهين فيقول : «أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب . والآخر : مما أنزل الله فيه جملة كتاب ، فبين رسول الله معنى ما أراد» وهذان الوجهان لم يختلف

فيهما أحد من الفقهاء ولا من المحدثين ، يقول الإمام الشافعي «وهذان الوجهان اللذان لم يختلف فيهما» .

والوجه الأول بين بنفسه :

إنه من الواضح أن رسول الله ﷺ كان يبين القرآن عقيدة ، وشريعة وأخلاقا على وجوه شتى ، وعلى أنحاء مختلفة ، وعلى أساليب تختلف في الإيجاز والإسهاب ، بحسب حالة المخاطب ، يقول الله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

والرسول ﷺ كان يبين للناس ما نزل إليهم بسلوكه ، وبقوله ، وبإقراراته ، يقول ، صلوات الله عليه وسلامه : «ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه» .

ولكن بيان رسول الله ، ﷺ، كان يشتمل أيضا على بيان ما أجمل في كتاب الله ، وهذا الوجه كثير في السنة .

يقول الإمام الشافعي ، رضي الله عنه: قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ .

وقال : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .

وقال : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ .

ثم بين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواقيتها ، وسننها ، وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها ، وكيف عمل الحج ، والعمرة، وحيث يزول هذا ويثبت، وتختلف سننه وتتفق ، ولهذا أشباه كثيرة فى القرآن والسنة» أ هـ .

وقد كان رسول الله ، ﷺ ، يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، كان يبين أوقاتها ، وأركانها ، وعدد ركعاتها ، وافتتاحها ، وترتيب حركتها بعد الافتتاح ويقول ﷺ : «صلوا كما رأيتمونى أصلى» .

ويبين رسول الله ، ﷺ ، مناسك الحج : أركانه ، وواجباته ، وسننه ، ويقول : «خذوا عنى مناسككم» .

وفرض الله ، سبحانه وتعالى ، الزكاة ، ولم يبين مقادير لها ، ولم يذكر بالتفصيل الزروع ، والثمار ، والأموال التى تجب فيها الزكاة فبين رسول الله ﷺ ذلك كله وطبقه .

ولقد بينت السنة أن القاتل لا يرث ، وأن الوصية لا تكون فى أكثر من الثلث ، وأن الدين يقدم على الوصية ، هذا وكثير غيره مما بينته السنة .

عن عمران بن حصين ، رضى الله عنه : أنه قال لرجل يريدأن يقتصر على القرآن دون السنة : إنك امرؤ أحمق ، أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا . ثم قال : أتجد ذلك فى

كتاب الله مفسرا ؟ إن كتاب الله أبهم هذا . قال : والسنة تفسر ذلك .

ولقد قيل لمطرف بن عبدالله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن .

فقال : والله ما نبغى بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

ويقول الإمام الشافعى رضى الله عنه : «ومن قبل عن رسول الله ، فعن الله قبل ، لما افترض الله من طاعته» .

مكانة السنة من التشريع :

ورسول الله، ﷺ: يشرع - عن الله تعالى - فيما لا نص فيه من كتاب الله .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وغيرهم : أن رسول الله ، ﷺ ، بعث معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، إلى اليمن فقال له :

«كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟» .

قال : أقضى بكتاب الله .

قال «فإن لم يكن فى كتاب الله ؟» .

قال : فبسنة رسول الله .

قال : «فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟» .

قال : أجتهد رأيى ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله» .

وسيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه فى رسالته فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه والتى بدأها بقوله : «سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة» .

يقول سيدنا عمر فى هذه الرسالة : «الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة» .

فجعل سيدنا عمر السنة مصدرا من مصادر التشريع .

ولقد سئل سيدنا أبو بكر ، رضى الله عنه ، عن ميراث الجدة فقال : «مالك فى كتاب الله من شىء ولكن أسأل الناس» فسألهم ، فقام المغيرة بن شعبة ، ومحمد بن مسلمة ، فشهدا : أن النبى ، ﷺ ، أعطاها السدس .

ولم يكن سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه يعلم سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى رضى الله عنه [١] .

---

(١) فبين له أن الاستئذان ثلاث ، فإذا لم يؤذن له انصرف .

ولم يكن يعلم أن المرأة ترث من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان ، أمير رسول الله ، ﷺ ، على بعض البوادى ، يخبره أن رسول الله ، ﷺ : «ورث امرأة أشيم الضبابى من دية زوجها» .

ولم يكن يعلم حكم المجوس فى الجزية حتى أخبره عبدالرحمن بن عوف : أن رسول الله ، ﷺ قال : «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» .

ولما قدم «سرغ» وبلغه أن الطاعون بالشام ، استشار المهاجرين الأولين الذين معه ، ثم الأنصار ، ثم مسلمة الفتح ، فشار كل عليه بما رأى ، ولم يخبره أحد بسنة ، حتى قدم عبدالرحمن بن عوف ، فأخبره بسنة رسول الله ، ﷺ فى الطاعون ، وأنه قال : «إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه» .

وهذا عثمان، رضى الله عنه ، لم يكن عنده علم بأن المتوفى عنها زوجها تعتد فى بيت زوجها ، حتى حدثته الفريعة بنت مالك، أخت أبى سعيد الخدرى بقضيتها لما توفى زوجها ، وأن النبى ، ﷺ ، قال لها :

«امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» فأخذ به عثمان.

ولقد روى الحاكم ما يلى :

«حرم رسول الله ﷺ ، أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلى، وغيره» .

فقال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته ، فيحدث بحديثى ، فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه . وإن ما حرم رسول الله ، ﷺ كما حرم الله» .

ويقول رسول الله ، ﷺ ، فيما رواه أبو داود عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه : «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه فيقول : لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه» .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله» .

وعن حسان بن عطية أنه قال : «كان جبريل، عليه

السلام، ينزل على رسول الله ، ﷺ ، بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن» .

وعن مكحول قال : قال رسول الله ، ﷺ: «آتاكم الله القرآن ومن الحكمة مثليه» أخرجهما أبو داود فى مراسيله .

وقيل لمطرف بن عبدالله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن - فقال ، والله ما نبغى بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : «لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» ، فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد ، فقالت : يا أبا عبدالرحمن ، بلغنى أنك لعنت كيت ، وكيت فقال . «ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله» ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته ، فقال لئن كنت قرأته فقد وجدته . أما قرأت : «وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» ؟ قالت : بلى . قال : فإنه قد نهى عنه رسول الله ، ﷺ .

وبعد أن يذكر الإمام الشافعى الوجوه الثلاثة : -

١ - بيان السنة للكتاب على ما فى الكتاب .

٢ - بيان السنة لمجمل الكتاب .

٣ - ما بين رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب .

يقــول : وذلك مــا نريد أن ننتــهى إليــه ، وهو بين فى وضـوح من كل مـا ذكـرنا - وأى هذا كـان ، فـقـد بين الله أنه فـرض فـيـه طاعـة رسـوله ، ولم يجـعل لأحـد من خلقـه عـذرا بخـلاف أمــر عـرفـه من أمـر رسـول الله ، وأن قـد جـعل الله بالناس كلهم الحـاجة إليه فى دينهم، وأقـام عليـهم حـجتـه بما دلهم عليه من سنن رسـول الله معـانى مـا أراد الله بفـرائضـه فى كتـابه ، ليعلم من عرف منهـا مـا وصفنا : أن سنتـه ، ﷺ ، إذ كانت سنة مبينة عن الله معنى ما أراد من مفروضه فيما فيـه كتـاب يتلونه ، وفيمـا ليس فيـه نص كتـاب آخـر :- فهى كذلك أين كـانت ، لا يختلف حكم الله ثم حكم رسوله ، بل هو لازم بكل حال .



الفصل الثانى

تدوين السنة

بدأ رسـول الله ، ﷺ ، فى العهـد المكى يبشـر بالقـرآن الكريم، ورسالة التوحيد سرا ثم جهرا ، وكان الرسول ، ﷺ ، يلقى بالأضواء كلها على القرآن .

١ - ذلك أن القـرآن كـلام الله ، سبحـانه وتعـالى ، وهو بأسلوبه معجز ، وهو بمعناه يأخذ بالأفئدة ، وهو بعظاته يملك القلوب ، وهو بمنطقه يسيطر على العقول .

٢ - ثم إن موضوع القرآن فى هذه الفترة كان موضوعا محددا : لقد كان جملة من القضايا تتصل بالغيب ، الغيب الإلهى ، أو - بتعبير آخر - توضح العقيدة :

توحيدا ، ورسالة ، وبعثا .

وكان أسلوب القرآن فى ذلك واضحا لا لبس فيه ، بينا بيانا سافرا .

٣ - وخشى رسول الله ، ﷺ ، أن يضيف بعض الناس شيئا من كلامه إلى القرآن ويخلطوه به ، وربما أسرفوا فى

هذه الإضافة : فلا يستبين الناس الفواصل والفروق بين الأسلوب القرآنى الإلهى ، والأسلوب النبوى ، حينما يتلونهما ، فى أول العهد بالإسلام ، ممتزجين ، لا تمييز بينهما .

إن معالم الأسلوب القرآنى واضحة ، وكلام الله سبحانه، أينما كان يتميز بصفات تجعله يسمو بمعزل عن غيره .

ولكن لابد من إيجاد الفرصة الكافية لترتسم هذه المعالم فى النفوس : أى لابد من تقديم القرآن خالصا صافيا ، لا يمتزج به غيره .

لابد من تقديمه كما أنزل فى ثوبه الإلهى البحت حتى تصبح المعالم : معالم الإعجاز المعجز ، بينة سافرة .

من أجل ذلك نهى رسول الله ، ﷺ ، عن كتابة حديثه ، صلوات الله وسلامه عليه .

٤ – على أن هذه الآيات القرآنية ، فى العهد المكى ، وهى تشرح التوحيد : توحيد الله فى الذات ، وتوحيد الله فى الصفات، إنها وهى تشرح الهيمنة الإلهية على الكون ، على العوالم : جميع العوالم ، ليست : فى حاجة إلى بيان أوضح ، أو إلى تعبير أقوى .

بل إنه لا يتأتى أن يكون هناك بيان أوضح أو تعبير أقوى .

إنها وهى تهدم الشرك ، وتدك حصونه ، فتقول مثلا :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ .

أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ .

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ .

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

إنها ، حينما تقول ذلك ، لا تحتاج إلى شرح أو تفسير .

وهى ، حينما تتحدث عن البعث فتقول : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ

فيه أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

وهى : حينما تتحدث عن الرسول ، ﷺ ونزول القرآن عليه فتقول :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

ثم هى ، حينما تقول ترغيبا وتبشيرا :

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ
هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ
لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ
سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾

ليست بحاجة إلى شرح أوتفسير .

وحينما تقول موعظة وإنذارا :

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ .

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ .

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

٥ - ثم إن الموضوعات التى تتحدث فيها هذه الآيات المكية : موضوعات غيبية ، والموضوعات الغيبية دقيقة وغاية فى الدقة ، فهل إذا تحدث الرسول ، ﷺ ، فى هذه الموضوعات ، ونقل عنه هؤلاء شفهيا - وهم حديثو عهد بالإسلام وقريبو عهد بالجاهلية الوثنية ... هل سيحسنون التعبير عنها أو سيقولونها كما تحدث بها الرسول ، ﷺ ، فى دقته الدقيقة ، وفهمه الواعى عن الله ، سبحانه وتعالى ؟

من أجل كل ذلك ، أمر رسول الله ، ﷺ ألا يكتب عنه غير القرآن .

وحكمة هذا الأمر وتعليله : واضح كل الوضوح مما ذكرنا .

ولكن فى فترة العهد المدنى تغير الوضع :

ها هو ذا الإسلام ينتشر انتشارا واسعا وسريعا .

وها هى ذى الأمة الإسلامية الناشئة المؤمنة القوية : تبعث الأمل واسعا فى أن دين الله سينتشر فى الآفاق ، وسيعم نوره الأقطار ، وستحطم كلمة الحق صروح الباطل ، وسيتم الله نوره ولو كره المشركون ، وسيعم لألاؤه رغم أنوف الكافرين .

ومن أجل هذه الأمة بدأ الوحى ينزل أرسالا ، أرسالا بالتشريع فى جميع ألوانه : تشريع دولى ، وتشريع جنائى ، وتشريع مدنى ، وتشريع للعبادة ، وتشريع للأحوال الشخصية.

لقد بدأ التشريع الإلهى ينظم حياة الفرد : عبادة ومعاملة : حياته مع نفسه ، وحياته مع أمته ، وحياته مع الله تعالى .

لقد أخذ ينظم حياة الإنسان منذ أن يستيقظ فى الصباح إلى أن ينتهى به الأمر إلى الصحو من جديد فى صباح تال .

وينظم حياته من أسبوع إلى أسبوع ، ومن شهر إلى شهر، ومن عام إلى عام .

وينظم حياته فى ذاته ، وينظم حياته فى أسرته ، وينظم حياته فى مجتمعه .

وينظم حياة المجتمع الإسلامى كله فى الكون كله .

وما كان يتأتى أن يتعرض الوحى فى ذلك للتفصيلات المفصلة ، ولا للجزئيات الجزئية التى لا تحد ولا تحصى ، ولكنه كان يفصل تفصيلا يشبه أن يكون تاما فى الأمور التى تكون عادة مثار النزاع ، وخصوصا الماليات : كالميراث ، وكتابة الدين مثلا .

ويضع قواعد عامة شاملة تتضمن الجزئيات المتعددة ، فى موضوعات أخرى، وكان لابد من أن يستفيض الرسول، ﷺ فى البيان والشرح والتفسير .

وكان المسلمون قد ألفوا الجو الإسلامى ، وألفوا الأسلوب القرآنى ، عرفوا مفهوم الشرك ومفهوم التوحيد ، وتبينت لهم الفروق الفاصلة بين العلم والجهل ، وبين الإسلام والجاهلية ، وبين توجيه الوجه للذى فطر السموات والأرض ، وتوجيهه للأصنام أو الشهوات أو اللهو ، ولم يكن هناك من خوف على خلط أسلوب القرآن الكريم بغيره .

وكان لابد من تقييد شروح الرسول ، ﷺ ، وتفسيراته .

لم تكن هناك ظروف توجب عدم كتابة الحديث ، وكانت هناك ظروف توجب كتابته .

ومن أجل ذلك أباح الرسول ، ﷺ ، كتابته بعد أن كان قد نهى عنها .

وبدأ الصحابة ، رضوان الله عليهم ، يكتبون .

روى الإمام البخارى ، فى كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، قال :

«حدثنا محمد بن سلام ، قال : أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف ، عن الشعبى ، عن أبى جحيفة ، قال : قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟

قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة .

قلت : فما فى هذه الصحيفة ؟

قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر »

ويروى الإمام البخارى :

حدثنا أبو نعيم : الفضل بن دكين ، قال : حدثنا شيبان، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة :

أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث ، عام فتح مكة بقتيل

منهم قتلوه ، فأخبر بذلك النبى ، ﷺ ، فركب راحلته ، فخطب فقال :

«إن الله ، حبس عن مكة القتل ، أو الغيل : شك أبوعبدالله ، وسلط عليهم رسول الله ، ﷺ ، والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلى ولم تحل لأحد بعدى ، ألا وإنها حلت لى ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتى هذه حرام ، لا يختلى شوكها، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين : إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتيل.

فجاء رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتب لى يا رسول الله .

فقال : اكتبوا لأبى فلان .

فقال رجل من قريش : إلا الأذخر ، يا رسول الله ، فإنا نجعله فى بيوتنا وقبورنا .

فقال النبى ، ﷺ : إلا الأذخر ، إلا الأذخر .

قال ، أبو عبدالله : يقال : يقاد ، بالقاف .

فقيل : لأبى عبدالله : أى شىء كتب له ؟

قال : كتب له هذه الخطبة .

ويقول البخارى :

حدثنا على بن عبدالله ، قال حدثنا سفيان ، قال ، حدثنا عمرو ، قال : أخبرنى وهب بن منبه ، عن أخيه ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبى ، ﷺ ، أحد أكثر حديثا عنه منى إلا ما كان من عبدالله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب . تابعه معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة» انتهى عن البخارى .

ولقد اشتهرت كتابة عبدالله بن عمرو لكل ما يصدر عن رسول الله ﷺ، حتى لقد نوقش فى ذلك من بعض القريشيين: يقول - رضى الله عنه - حسبما يروى فى سنن الدارمى وغيره: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ، ﷺ ، أريد حفظه ، فنهتنى قريش ، وقالوا : تكتب كل شىء سمعته من رسول الله ﷺ !! ورسول الله ﷺ بشر ، يتكلم فى الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه ، وقال : اكتب . فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق .

وروى عن أبى هريرة - كما يذكر الترمذى - أن رجلا من الأنصار كان يشهد حديث رسول الله ، ﷺ فلا يحفظه ، فيسأل أبا هريرة ، فيحدثه ، ثم شكا قلة حفظه إلى الرسول،

ﷺ ، فقال له النبى ﷺ : استعن على حفظك بيمينك . أى بالكتابة .

وروى عن رافع بن خديج ، كما يذكر فى كتاب : «تقييد العلم» أنه قال : - قلنا : يا رسول الله ، إنا نسمع منك أشياء، أفنكتبها ؟ قال : «اكتبوا ولا حرج» .

على أنه قد روى عن رسول الله ، ﷺ ، أنه كتب كتاب الصدقات والديات ، والفرائض ، والسنن ، لعمر بن حزم وغيره، كما يروى ذلك صاحب - كتاب «جامع بيان العلم وفضله» .

هذا بعض ما كان من الصحابة فى عهد الرسول ، ﷺ . وتكثر الروايات فيما كان من كتابة الصحابة بعد انتقاله ، صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى .

ففى مسند الإمام أحمد عن أبى عثمان النهدى قال : كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبى ، ﷺ ، فكان فيما كتب إليه : -

أن رسول الله ﷺ قال : - «لا يلبس الحرير فى الدنيا إلا من ليس له فى الآخرة منه شىء إلا هكذا ،

وقال بأصبعيه السبابة والوسطى» . قال أبو عثمان : «فرأيت أنها أزرار الطيالسة حين رأينا الطيالسة» .

ولقد كان الصحابة ينقل بعضهم عن بعض ، فعروة بن الزبير ، رضى الله عنه ، ينقل عن خالته ، السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، فتقول له : يا بنى ، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث ، ثم تعود فتكتبه .

فقال لها : أسمعه منك على شىء ، ثم أعود فأسمعه على غيره .

فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافا ؟

قال : لا

قالت : لا بأس بذلك .

وبشير بن نهيك يكتب عن أبى هريرة : ويجيزه أبو هريرة بالرواية عنه .

يقول بشير - كما يذكر كتاب : «السنة قبل التدوين» نقلا عن كتاب : «المحدث الفاضل» وغيره - أتيت أبا هريرة بكتابى الذى كتبته ، فقرأته عليه ، فقلت : هذا سمعته منك ؟

قال : نعم

وكان لابن عباس ، رضى الله عنه ألواح يكتب فيها عن الصحابة : مثل أبى رافع صاحب رسول الله ، ﷺ .

بل لقد وصل الأمر بأنس ، رضى الله عنه ، الذى لازم رسول الله ، ﷺ ، ملازمة تكاد تكون تامة ، طيلة عشر سنوات ، أنه كان يملى الحديث على جموع من الطالبين ، فإذا كثر عليه الناس ، واحتاجوا إلى صحف يكتبون فيها ، جاء إليهم بها من عنده فألقاها إليهم ، ثم قال : - هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله ، ﷺ ،وعرضتها عليه .

وكان يقول ، رضى الله عنه ، لبنيه : يا بنى قيدوا العلم بالكتاب .

وكان الصحابة يتراسلون فى الأحاديث : يستفسرون ويتذاكرون ، فمعاوية بن أبى سفيان ، رضى الله عنه ، يكتب للمغيرة بن شعبة رضوان الله عليه ، عدة مرات ، يستفسر عن بعض ما يرويه المغيرة عن رسول الله ، ﷺ .

فيجيبه المغيرة بن شعبة مرة عما كان رسول الله ، ﷺ ، مثلا ، يقول فى ختام كل صلاة :

«اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لمامنعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» .

ويجيبه مرة أخرى بأن رسول الله ﷺ ، نهى عن : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال .

ويكتب زياد بن أبى سفيان إلى السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، يسألها عن مسائل تتعلق بالحج ، ويذكر لها فتوى ابن عباس ، رضى الله عنه ، فتكتب له بما كان ، ﷺ ، يفعله فى الحج .

ويصف المرحوم الأستاذ مصطفى السباعى بعض الجهود التى قام بها الصحابة لجمع الحديث فيقول فى نهاية حديثه عن تلك الجهود :

فلما كان عهد عثمان سمح للصحابة أن يتفرقوا فى الأمصار ، واحتاج الناس إلى الصحابة ، وخاصة صغارهم ، بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوما بعد يوم ، فاجتهد صغار الصحابة بجمع الحديث من كبارهم ، فكانوا يأخذونه عنهم .

كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد ، وأحمد ، والطبرانى ، والبيهقى ، واللفظ له ، عن جابر بن عبدالله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى ، ﷺ ، عن رسول الله ﷺ، لم أسمعه ، فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ، ثم سرت إليه شهرا حتى قدمت الشام، فإذا هو عبدالله بن أنيس الأنصارى، فأتيته ، فقلت له :

حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ، ﷺ ، فى المظالم لم أسمعه ، فخشيت أن أموت ، أوتموت قبل أن أسمعه .

فقال : سمعت رسول الله، ﷺ ، يقول «يحشر الناس غرلا بهما» .

قلنا : وما لهم ؟

قال : ليس معهم شىء ، فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصها منه ،

ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقتصها منه حتى اللطمة .

قلنا : كيف ؟ وإنما نأتى الله عراة غرلا بهما ؟

قال : بالحسنات والسيئات .

وأخرج البيهقى وابن عبدالبر عن عطاء بن أبى رباح أن أبا أيوب الانصارى رحل إلى عتبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ، ﷺ ، لم يبق أحد سمعه منه غيره ،

فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى - وهو أمير مصر - فخرج إليه فعانقه ، ثم قال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟

قال : حديث سمعته من رسول الله، ﷺ ، فى ستر المؤمن .

فقال : نعم ، سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : -

«من ستر مؤمنا فى الدنيا على كربته ، ستره الله يوم القيامة» .

ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعا إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر» أ هـ

ولقد وقر فى أذهان الناس ، بصورة راسخة أن السنة لم تدون إلا فى القرن الثانى ، ومن أجل اقتلاع هذه الفكرة الخاطئة أطلنا فى نقل بعض النصوص التى تثبت الحقيقة ! وهى أن السنة دونت فى القرن الأول : فى عهد الرسول ﷺ ، وفى عهد الصحابة الأجلاء .

ومن أجل زيادة الأمر وضوحا ، ومن أجل تأكيد الحقيقة فى الأذهان : ننقل هنا أيضا رأى الاستاذ الجليل ، السيد سليمان الندوى ، كبير علماء مسلمى القارة الهندية فى هذا العصر : ننقله عن كتابه النفيس : «الرسالة المحمدية» وهو محاضرات ألقاها فى جامعة مدراس.

يقول :

وإنى أكشف القناع ، لأول مرة فى ناديكم هذا ، بأن من زعم أن الأحاديث النبوية لم تدون إلى مائة سنة أو تسعين سنة قد أخطأ ، والتاريخ يعارضه .

والسبب فى هذا الخطأ ظنهم أن أول كتاب فى الحديث النبوى: «كتاب الموطأ» لمالك بن أنس ، وأول كتاب فى السيرة كتاب المغازى لابن إسحاق ، وهذان الإمامان الجليلان كانا معاصرين ، وتوفى الأول سنة ١٧٩هـ ، والثانى سنة ١٥١هـ ، فاعتبروا العقود الأولى من القرن الثانى بداية تدوين الأخبار والسير .

والأمر ليس كذلك : فإن بواكير التدوين ابتدأت قبل ذلك بكثير ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز المتوفى سنة ١٠١ عالما جليلا ، ولى إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩ ، وقد عهد إلى القاضى: أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - الذى كان إماما فى الحديث والخبر - أن يبدأ فى تدوين سنن النبى ﷺ وأخباره، لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئا فشيئا .

وخاف دروس العلم وعفاءه ، وقد ذكر هذا فى تعليقات البخارى ، والموطأ لمالك ، والمسند للدارمى . فقام بذلك

أبو بكر بن حزم ، وكتبت الأحاديث والأخبار والسنن فى القراطيس ، وأرسلت إلى دار الخلافة بدمشق ، ونسخت فى الصحف والكتب ، وبعث بها إلى البلاد الإسلامية وكبريات المدن يومئذ (مختصر جامع بيان العلم للحافظ ابن عبدالبر ص١٣٨طبع بمصر) .

فأبوبكر هذا الذى علمتم مكانته من العلم والفضل ، وكان قاضيا بالمدينة المنورة ، هو الذى اختاره عمر بن عبدالعزيز لهذا العمل الجليل ، لعلمه وفضله ، ولأن خالته عمرة كانت من كبريات تلميذات أم المؤمنين عائشة ، وكان ما روته خالته عمرة عن أم المؤمنين عائشة محفوظا عنده . فأوعز إليه عمر بن عبدالعزيز بتدوين مرويات خالته ، وقد اختصها بالذكر فى كتابه إليه .

ويتابع السيد سليمان الندوى حديثه فيقول :

وأمر ، ﷺ ، فكتبت أحكام الزكاة ، وما تجب فيه ، ومقادير ذلك ، فكتبت مشروحة مفصلة فى صفحتين ، وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولاتها ، وبقيت محفوظة فى بيت أبى بكر الصديق ، وأبى بكر بن عمرو بن حزم . (الدار قطنى فى كتاب الزكاة ٢٠٩) وكان عند عمال الزكاة رسائل فيها أحكام الزكاة .

وكان لمرويات عبدالله بن عباس كراريس عدة .

وجاءه قوم من أهل الطائف بكراسة منها ليرووها عنه (العلل للترمذى ص ٦٩١) .

وكان سعيد بن جبير يكتب روايات عبدالله بن عباس (الدارمى ٦٩) وبقيت صحيفة عبدالله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيده : عمرو بن شعيب (سنن الترمذى) (ص٦١ ، ١١٣) .

وكانوا يضعفون عمرو بن شعيب ، لأنه يروى من الصحيفة ، وكان ينبغى له أن يروى من حفظه .

وجمع وهب التابعى روايات جابر بن عبدالله، وكانت عند إسماعيل بن عبدالكريم ، وضعفوه لأجل ذلك (تهذيب التهذيب لابن حجر : ٣١٦) .

وروى سليمان بن سمرة بن جندب : أنه كان عند أبيه صحيفة فيها أحاديث . وكذلك روى ابنه حبيب بن سليمان - (تهذيب التهذيب ٤ : ١٩٨) .

وجمع همام بن منبه روايات أبى هريرة ، وهو أكثر الصحابة رواية ، وأوعاهم حفظا لأحاديث الرسول ، ﷺ ، فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام ، وقد

أوردها الإمام أحمد بن حنبل فى الجزء الثانى من مسنده (ص٣١٢ - ٣١٨ الطبقة الأولى) .

وكذلك بشير بن نهيك : كتب مروياته عن أبى هريرة فى كتاب وقرأه عليه .

(كتاب العلل للترمذى ص٦٩١ . والدارمى ص٦٨ والسنن الكبرى للبيهقى ١٠ : ٢٨٠) .

وذكر ابن حجر فى كتابه فتح البارى : أن أبا هريرة جاء برجل إلى بيته وأراه أوراقا وقال : هذه رواياتى . وقال الذى روى ذلك : إنها لم تكن مكتوبة بيده . (فتح البارى ١ : ١٨٤ - ١٨٥) .

وكان أنس بن مالك - وهو معروف بكثرة الرواية - يقول لأولاده: يا بنى اكتبوا العلم وقيدوه بالكتابة (الدارمى ص٦٨).

وكان تلميذه «أبان» يكتب رواياته بين يديه . (الدارمى ص٦٨) .

وروى عن سلمى قالت : رأيت عبدالله بن عباس يستملى أبا رافع خادم رسول الله ، ﷺ ، ما كان ﷺ ، يفعل أو يقول (طبقات ابن سعد ٢/٢/: ١٢٣) .

والواقدى وهو من متقدمى المصنفين فى السيرة النبوية

يقول : رأيت عند عبدالله بن عباس الكتاب الذى أرسله رسول الله ، ﷺ ، إلى المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتب أخرى . (زاد المعاد ٢ : ٥٧) .

وفى تاريخ الطبرى : أن عروة بن الزبير كتب جميع ما كان فى غزوة بدر مفصلا إلى عبدالملك الخليفة الأموى (الطبرى ١٢٨٥) .

ويقول سعيد بن جبير التابعى : كنت أكتب على الأقتاب ما أسمعه فى الليل من عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبته واضحا . (الدارمى ص٦٩) .

وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته . (الدارمى ٦٩) .

وكان نافع - وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة - يملى على الناس (الدارمى ص٦٩) .

وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود أنه أخرج كتابا وقال : وأيم الله ، هذا ما كتبته يد ابن مسعود . (جامع العلم لابن عبدالبر ص١٧) .

ونتابع الحديث فى الموضوع على الرغم من أن الأمر أصبح واضحا فنضيف إلى ما سبق :

أن مروان قد خطب فى الناس فذكر مكة وحرمتها ، فقال رافع بن خديج بصوت يسمعه الناس :

والمدينة حرم حرمها رسول الله، ﷺ وهو مكتوب عندنا فى أديم خولافى إن شئت أن نقرئكه فعلنا فناداه مروان: أجل قد بلغنا ذلك . (مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ : ١٤١) .

وأرسل الضحاك بن قيس كتابا إلى النعمان بن بشير يسأله فيه عن السورة التى كان رسول الله ﷺ يقرؤها فى صلاة الجمعة غير سورة الجمعة .

فكتب إليه يقول : كان يقرأ «هل أتاك» (صحيح مسلم) .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن فرقد كتابا ذكر فيه: أن رسول الله ﷺ، نهى عن لبس الحرير (صحيح مسلم).

«ويقول مجاهد : رأيت عند عبدالله بن عمرو كتابا فسألته : ما هذا ؟ فقال : هذه «الصادقة» فيها ما سمعته من رسول الله ، ﷺ ، ليس فى ذلك بينى وبين رسول الله ، ﷺ أحد» .

ولما ولى رسول الله ، ﷺ ، عمرو بن حزم اليمن وبعثه إليها أعطاه أحكاما مكتوبة فى الفرائض والصدقات والديات «كنز العمال ٣ : ١٨٦» .

وتلقى عبدالله بن حكيم كتابا من رسول الله ، ﷺ ، فيه أحكام الحيوانات الميتة (المعجم الصغير للطبرانى . ص٢١٧) .

ولما أراد وائل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضرموت ناوله رسول الله ، ﷺ ، كتابا فيه أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر وغير ذلك (الطبرانى ص٢٤٢) .

ولما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ، ﷺ ، إن كان عند أحد منهم سنة عن النبى ، ﷺ ، فى نصيب المرأة من دية زوجها قام الضحاك بن سفيان فقال :

نعم عندنا كتاب من رسول الله ، ﷺ ، يبين فيه ذلك (الدارقطنى ٢ : ٤٨٥) [١]

وقد بلغ عدد الصحابة ، رضى الله عنهم فى آخر حياة النبى ، ﷺ - عندما حج حجة الوداع - مائة ألف ، ومن هؤلاء عشرة آلاف صحابى مذكورة أسماؤهم وأحوالهم فى كتب التاريخ التى أفردت لتدوين أحوالهم خاصة .

وإن التاريخ لم يهتم بتدوين أحوالهم ولم يحفظ لنا

---

(١) انظر : «السنة قبل التدوين» والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ورجال الفكر والدعوة .

شئونهم إلا لأن كل واحد منهم حفظ شيئا من أقوال النبى ، ﷺ ، وأفعاله وتصرفاته وهديه وسيرته.

لقد توفى رسول الله ، ﷺ ، سنة ١١ من الهجرة النبوية، وبقى فريق من كبار الصحابة بعده إلى سنة أربعين ، وبقى بعد ذلك من الصحابة ، الذين كانوا أحدانا فى حياة النبى ، ﷺ ، عدد غير قليل . فلما انقرض ذلك الجيل لم يبق من الصحابة أحد ، وانطفأ كل سراج أوقد بنور النبوة .

وإليكم أسماء آخر من مات من الصحابة ، والبلاد التى ماتوا فيها ، وسنوات وفاتهم :

آخر الصحابة موتا	المدن التى توفوا فيها	سنة الوفاة
١ - أبو أمامة	الشام	٨٦
٢ - عبدالله بن الحارث بن جزء	مصر	٨٦
٣ - عبدالله بن أبى أوفى	الكوفة	٨٧
٤ - السائب بن يزيد	المدينة	٩١
٥ - أنس بن مالك	البصرة	٩٣

وأنس بن مالك هذا الذى كان آخر من بقى من الصحابة كان الخادم لرسول الله ﷺ ، استمر فى خدمته عشر سنوات متوالية .

ومعظم هذه الثروة الحديثية كما يقول الأستاذ الجليل أبو الحسن الندوى - قد كتب ودون بأقلام رواة فى العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة ، رضى الله عنهم ، على عشرة آلاف حديث ، إذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأنس بن مالك ، وجابر ابن عبدالله ، وعلى ، وابن عباس ، رضى الله عنهم ، فيمكن أن يقال : إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون فى عصر النبوة ، وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح ، بكثير .

جمعت السنة إذن - جميعها تقريبا - فى عهد الرسول ، ﷺ ، وعهد الصحابة ،

جمعت دون ترتيب ولا تنسيق .

جمعت متفرقة متناثرة ، يكتب هذا الحديث والحديثين، ويكتب الآخر المائة والمائتين ، ويزيد الثالث عن ذلك ، ويملى الرابع من حفظه على الآخرين ، وهكذا ، وفى ذلك لم يكن لأحد اهتمام بالتنضيد أو التنسيق .

يقول الأستاذ العالم الورع المتثبت أبو الحسن الندوى فى كتابه «رجال الفكر ، والدعوة» ما يلى :

وإذا جمعت هذه الصحف والمجاميع ، وما احتوت عليه من الأحاديث ، كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث.

وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله - من غير نظام وترتيب - فى عهد الرسول ، ﷺ ، وفى عصر الصحابة ، رضى الله عنهم .

ويتحدث الأستاذ أبو الحسن الندوى عن الوهم الشائع بين الناس من أن السنة لم تدون إلا فى القرن الثالث ، ويعلل هذا الوهم تعليلا منطقيا فيقول :

وقد شاع فى الناس - حتى المثقفين والمؤلفين - أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا فى القرن الثالث الهجرى ، وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى .

وما نشأ ذلك الغلط إلا عن طريقتين :

الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدونى الحديث فى القرن الثانى ، ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول ، لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور أن يكون قد جاء فى هذه المجاميع

الصغيرة التى كتبت من القرن الأول ، مع أن عدد الأحاديث الصحاح غير المتكررة المتجردة من المتابعات والشواهد لا يزال قليلا .

وقد نبه على ذلك العلامة ، مناظر أحسن الكيلانى رئيس القسم الدينى سابقا فى الجامعة العثمانية بحيدر آباد فى كتابه العظيم : «تدوين الحديث» ، يقول رحمه الله :

وقد يتعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال : إن أحمد بن حنبل يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث .

وكذلك يقال عن أبى زرعة .

ويروى عن الإمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ، ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة .

ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث.

ولا يعرف كثير من المتعلمين - فضلا عن العامة - أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التى عنى بها المحدثون .

فحديث «إنما الأعمال بالنيات» مثلا يروى من سبعمائة طريق .

فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

فالجامع الصحيح للبخارى لا تزيد الأحاديث التى رويت بالسند الصحيح فيه على ألفين وستمائة وحديثين .

وأحاديث مسلم يبلغ عددها إلى أربعة آلاف حديث .

وهكذا لا يبلغ عدد الأحاديث المروية فى كتب الصحاح الستة ، ومسند أحمد ، وكتب أخرى ، خمسين ألف حديث ، منها الصحيح ، ومنها السقيم ، ومنها المتفق عليه ، ومنها المتكلم فيه .

وقد صرح الحاكم أبو عبد الله - الذى يعد من المتسامحين المتوسعين - أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف «توجيه النظر ص٩٣» .

ويقول الأستاذ :

ولم ينتصف القرن الثانى حتى كانت حركة الجمع والتدوين أنشط وأقوى .

وكان ممن سبق إليها من رجال هذا القرن :

ابن شهاب الزهرى (مات عام ١٣٤هـ)

وابن جريج المكى (مات عام ١٥٠هـ)

وابن إسحاق (مات عام ١٥١هـ)

ومعمر اليمنى (مات عام ١٥٣هـ)

وسعيد بن أبى عروبة المدنى (مات عام ١٥٦هـ)

وربيع بن صبيح (مات عام ١٦٠هـ)

وسفيان الثورى (مات عام ١٦١هـ)

ومالك بن أنس (مات عام ١٧٩هـ)

والليث بن سعد (مات عام ١٧٥هـ)

وابن المبارك (مات عام ١٨١هـ)

ثم تتابع الناس [١]

ليس من همنا فى هذا الفصل أن نتابع السنة فى تدوينها ، وإنما أردنا أن نوضح توضيحا شافيا فكرة أن السنة دونت فى عهد الرسول ، ﷺ ، وعهد الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وأظن أنه قد استبان الآن الأمر بما لا يحتاج إلى مزيد، وشكر الله للباحثين الأعلام المتبصرين الذين استندنا إليهم فى هذا البحث .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر كتاب : رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن النووى .

الفصل الثالث

المحدثون فى جهادهم

وفى ضوء ما سبق قد يتساءل بعض الناس ؟ هل معنى ذلك أنه لم تحدث محاولات للوضع ، أو حدث وضع بالفعل ، وتزييف ، واختراع فى السنة ؟ والواقع أن من يزعم أن السنة - على مجرى التاريخ - قد خلت من الوضع إنما ينكر الحقائق الثابتة .

لقدحاول الكثيرون وضع أحاديث على لسان الرسول ﷺ، حاولوا ذلك لأسباب مختلفة منها :-

١ - أن بعض الناس كذابون بطبيعتهم ، اتخذوا الكذب هواية ، لا يستقيم أمرهم إلا على الكذب ، فكذبوا على رسول الله ، ﷺ ، وإذا كان من المعروف فى جميع الأديان أن بعض الناس يكذب على الله ، فإن من الأمور التى تحدث أن يكذب بعض الناس على رسول الله ، ﷺ .

٢ - وبعض الناس يسيطر عليه مذهب من المذاهب أو نزعة من النزعات ، ويتشبع بذلك حتى يملأ عليه أقطاره

فيكذب على رسول الله ، ﷺ ، تأييدا لمذهبه، وتأكيدا لنزعته، وإرضاء لهواه .

٣ - وبعض الناس دخل فى الإسلام كرها للإسلام : دخله ليتآمر عليه ، دخله ليكون فى ظروف أكثر ملاءمة للتآمر عليه : فكذب على رسول الله ﷺ : إفسادا للمبادئ الإسلامية الصحيحة ، وتزييفا لها .

٤ - وبعض الناس استباح الكذب على رسول الله، ﷺ، فى سبيل موعظة الآخرين وهدايتهم ، ورأى أن غايته التهذيبية تبيح له ركوب هذا المركب الفاسد .

هذه هى كل أو أكثر الأسباب التى دعت إلى وضع الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ ..

ولكن ذلك لم يكن فى السنة بدعا من الأمر .

فهذه الأسباب فى الجملة كانت ولا تزال الأسباب لتزييف التاريخ .

إن التاريخ - منذ عرف - لم يخل من العوامل التى تحاول وضعه على غير ما كان عليه بالفعل ، وتلوينه على الصورة التى يريد بعض الناس - ملوكا أو أمراء أو زعماء على أى وضع كانوا - أن يكون عليها .

ولكن تزييفهم للتاريخ لم يمنع من ظهور الحقائق ، وكذبهم على التاريخ لم يمنع من بيان الحق ومعرفة الناس له .

ولقد وضع المؤرخون المحدثون أصولا للنقد ، وعلامات للحوادث المزيفة وقواعد لمعرفة الحقيقة .

ولقد استعانوا فى سبيل المعرفة الصحيحة باللغة ، وبالحوادث اليقينية المتواترة ، وبالشهود العدول ، وبالمقارنات.

لقد استعانوا بالنقد الداخلى ، والنقد الخارجى ، ووصلوا بذلك إلى الحقائق التى يطمئنون إليها ، برغم ما يفصل بينهم وبين مكان الأحداث من آلاف الأميال ، وبرغم ما يفصل بينهم وبين أزمنة الحوادث من عشرات القرون .

ومع كل ما حاوله المؤرخون من جهد ، ومع كل ما وضعوه من قواعد للوصول إلى اليقين فإنهم - والحق يقال - لم يصلوا فى كل ذلك إلى ما وصل إليه سادتنا المحدثون ، رضوان الله عليهم . وذلك للأسباب التالية :-

١ - لقد بدأ تسجيل السنة فى عهد الرسول ، ﷺ ، وتم تسجيلها - كلها تقريبا - فى عهد الصحابة ، رضوان الله عليهم . فكان قرب الزمن ، إذن ، من عوامل صحة السنة .

٢ - وسجل أكثرها فى المكان نفسه الذى كان فيه رسول الله ﷺ ، أو فى أمكنة قريبة ، نسبيا ، منه .

٣ - ولقد روى عن الرسول، ﷺ ، أحاديث كانت تحد من الوضع ، فى المبدأ على الأقل ، مثل حديث :

«من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»

وهذه ملاحظات نذكرها لا لنقول إنها حاسمة فيما يتعلق بأمر صحة ما روى - ولقد قدمنا : أن الوضع وجد بالفعل - ولكننا نذكرها فى مقابلة ما يحاول بعض الناس التهويل به من أمر التزييف والوضع .

أما الأمور الحاسمة التى تجعلنا نثق فى النتائج والثمار التى وصل إليها سلفنا الصالح فيما يتعلق بأمر السنة ، فإن فى أساسها :

١ - إيمان هؤلاء السلف بأنهم فى عنايتهم بالسنة : - بما صح منها ، وبما وضع فيها - إنما يجاهدون فى سبيل الله .

لقد كانوا مؤمنين إيمانا عميقا ثابتا بأن فى عنقهم واجبا دينيا هو أن يخلصوا سنة رسول الله ، ﷺ ، من كل زيف ، وأن ينقوها من الكدورات فى إخلاص مخلص ، وفى صورة من اليقين لا يفترون فى الوصول إليه .

ولقد كانوا يعدون بالآلاف ، ويمتازون - كما يقول

أبوا لحسن الندوى - بعلو نشاطهم ، وقوة احتمالهم وصبرهم، وقوة ذاكرتهم وحفظهم ، وقد تدفق سيلهم من بلاد العجم ، وقد ملكت قلوبهم وعقولهم الرغبة الشديدة فى جمع الحديث، وشغفوا به شغفا حال بينهم وبين الشهوات ، فطاروا فى الآفاق ، ونقبوا فى البلاد فى البحث عن الروايات المختلفة ، والأسانيد الصحيحة .

وكان لهم فى ذلك هيام وغرام لم يعرفا عن أمة من الأمم فى التاريخ كله ، يدل على ذلك بعض الدلالة ما يروى عن المحدثين من التجول فى البلاد ، والسفر فى العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه .

فقد روى : أن البخارى صاحب الصحيح ، بدأ رحلته العلمية وهو لا يزال فى الرابعة عشرة من سنه ، وقد زار البلدان الإسلامية : ما بين بخارى ومصر وشيوخها .

وروى عن أبى حاتم الرازى م ٢٧٧ هـ قال :

«أول ما رحلت أقمت سبع سنين ، ومشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ، ثم إلى الرملة ماشيا ، ثم إلى طرسوس ولى عشرون سنة ».

وقد سمع محدث الأندلس ابن حيون (م ٣٧٤هـ) الحديث فى الأندلس والعراق ، والحجاز واليمن ، وهكذا قطع قارة أفريقيا من طنجة إلى مصر ، وعبر البحر الأحمر .

ومن المحدثين من سافر فى قارة أفريقيا وآسيا وأوربا فى طلب الحديث ، وهكذا انتظمت رحلته العلمية ثلاث قارات كبرى .

وكان كثير من المحدثين يخرج من الأندلس ، أقصى الغرب فى العالم المتمدن المعروف يومئذ ، ويبلغ أقصاه فى الشرق إلى خراسان أو بالعكس ، والمطالع فى تذكرة الحفاظ للذهبى يدهش لطموح هؤلاء الرجال واحتمالهم المشاق فى طلب العلم .

٢ - ولقد استعمل أئمتنا النقد الداخلى والنقد الخارجى، بل لقد استعملوا ما يمكن أن نسميه المشاركة الوجدانية ، أو ، بعبارة أدق ، استرواح رائحة النبوة ، أو استلهام طابع رسول الله ، ﷺ ، فى الحديث ، أو استبصار القلب ، وإلهام الروح ، وإشراق البصيرة ، فى المعرفة :

يقول الربيع بن خيثم :

«إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه به .

وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تعرفه بها [1] » .

وهذه الطريقة تعتبر فى العصر الحاضر الأوربى من ابتداعات القرن العشرين . لقد استعملها أئمتنا ووضعوا لها الأصول ، وبينوا كيفيتها ، ولم يتركوها للأهواء والمشارب ، ومن أدق التعبيرات عنها ما يقوله ابن القيم .

سئلت : هل يمكن معرفة الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر فى سنده ؟

فهذا سؤال عظيم القدر

وإنما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله ﷺ ، وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة ، بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه .

ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول ﷺ ، وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر عنه ، وما لا يجوز- ما لا يعرفه غيره .

---

(١) الحاكم : فى معرفة علوم الحديث ص٢٦ .

وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فللأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله فى العلم بها ، والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه ومالا يصح - ما ليس لمن لا يكون كذلك .

وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم : يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم مالا يعرفه غيرهم، وفى هذه الطريقة أيضا يقول ابن دقيق العيد :

«وكثيرا ما يحكمون بذلك (أى بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث ، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبى ﷺ هيئة نفسانية وملكة يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز».

ويقول ابن الجوزى :

الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه فى الغالب .

٣ - وإنه لمن المعروف أن عناية سلفنا الصالح لم تكن موجهة إلى جمع الحديث وتدوينه فحسب ، وإنما تعدت ذلك - كما يقول الأستاذ الجليل أبو الحسن الندوى - إلى الوسائط التى وقعت فى رواية الحديث - وهم الرواة الذين رووا هذه الأحاديث .

فعنوا بمعرفتهم ومعرفة أسمائهم وأسماء آبائهم ، وحوادث حياتهم وأخلاقهم ، ومكانتهم فى الأمانة ، والصدق ، والحفظ .

وهكذا أصبح الذين اتصلوا بالشخصية الكريمة التى وعد الله لها بالخلود وبقاء الذكر وانتشار الاسم ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أصبح الذين اتصلوا بها موضوع الدارسين، والباحثين، وخرجوا من زوايا الخمول واستحقوا الحياة والاشتهار ، وأصابهم فيض من حياة هذه الشخصية الخالدة ، فحيوا وظهروا واحتفظ التاريخ بأسمائهم وأحوالهم، ورآه حقا على نفسه . وهكذا ظهر علم أسماء الرجال فى عالم الوجود، وكان من مفاخر هذه الأمة التى لا تشاركها فيها أمة من الأمم ، قال الدكتور «اسبرنجر» Sprenger فى مقدمته الإنجليزية على كتاب الإصابة فى أحوال الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى ما ترجمته :

«لم تعرف أمة فى التاريخ ، ولا توجد الآن على ظهر الأرض ، وفقت لاختراع فن من أسماء الرجال الذى نستطيع بفضله أن نقف على ترجمة خمسمائة ألف (نصف مليون) من الرجال» .

ولم يعن المحدثون بتعريف رجال الحديث فحسب ، بل التزموا الصدق والصراحة فى تعريفهم ، وجمعوا كل ما يتصل بأخلاقهم وعاداتهم ، وما يدل على قوتهم وضعفهم ، واحتياطهم وتساهلهم ، وتقواهم وعلمهم وذاكرتهم ، وجمعوا كل ما قاله معاصروهم فيهم ، ولم يداروا ولم يجاملوا فى ذلك، ولم يهابوا أحدا ، ولو كان بعضهم أميرا مهابا أو شيخا وقورا .

وقد روى التاريخ فى ذلك طرائف تدل على شدة هؤلاء الناقدين وعلمهم بقوله تعالى :

﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ وتدقيقهم .

قال أبو داود : كان أبو وكيع على بيت المال ، فكان وكيع (م١٩٧) إذا روى عنه قرنه بآخر .

وقد ترك معاذ بن معاذ العنبرى (م١٩٦هـ) رواية السعودى ، لأنه رآه يطالع الكتاب ، يعنى قد تغير حفظه . وقد قدم إليه عشرة آلاف دينار ، وطلب منه أن يسكت عن فلان فلا يتكلم فيه بجرح ولا تعديل ، فأبى ورفض هذا الحال العظيم ، وقال : «لا أكتم الحق» .

وهذا قليل من كثير جدا يدل على أمانة علماء الحديث

والرجال ، وتدقيقهم فى موضوعهم ، وتحريهم الحق والعدل فى شهاداتهم ، فهل يوجد فى تاريخ العلم نظير لهذه الأمانة والتدقيق ؟

★ ★ ★

وما من شك فى أن سلفنا الصالح بدأ بالاهتمام بالإسناد :

أى بالاهتمام بهؤلاء الذين رووا الحديث واحدا عن واحد حتى وصلوا به إلى رسول الله ﷺ ، أو إلى أحد الصحابة رضوان الله عليهم .

ولقد اهتموا بالإسناد إلى درجة أن جعلوه من الدين .

يقول الإمام الزهرى :

«الإسناد من الدين» .

لقد بحثوا عن هؤلاء الذين جاء حديث رسول الله ﷺ عن طريقهم :

لقد بحثوا عن ميلادهم ، وعن وفاتهم ، وعن أخلاقهم ، وعن غفلتهم وسهوهم ، أو يقظتهم وصحوهم ، وعن ذاكرتهم وضبطهم ، لقد بحثوا عن كل ما يتصل بهم فى ألفاظهم التى

ينطقون بها ، وفى سلوكهم الذى يسيرون عليه ، وفى سمتهم من ناحية الوقار والخفة ، وفى أهوائهم ومشاربهم ، وفى نزعاتهم ، وفى ميولهم على وجه العموم .

لقد اخترع المسلمون علم تشريح كاملاً ، وضعوا به على مائدة المعرفة ما يقرب من نصف مليون من البشر .

لقد اخترعوا علما لم يخترعه سابقوهم ، حتى بالنسبة لكتبهم المقدسة ، ولم يصل إليه لاحقوهم حتى فى العصر الحديث .

علما يقول عنه المستشرق الألمانى «اسبرنجر» فى تصديره لكتاب الإصابة لابن حجر حينما كان فى كلكتا ١٨٥٣ - ١٨٦٤ :- الكلمة التى سبق أن ذكرناها ، والتى تعبر عن الحقيقة الواقعة .

ولقد قيل مرة لابن المبارك :- «هذه الأحاديث المصنوعة؟» .

فقال : يعيش لها الجهابذة» .

هؤلاء الجهابذة قاموا بما عليهم خير قيام .

يتحدث صاحب كتاب «تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل» عن بعض ما قام به هؤلاء الجهابذة فيقول :

«التمييز بين الرواة» قال أبو محمد :

فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شىء من معانى كتاب الله، ولا من سنن رسول الله ﷺ إلا من جهة النقل والرواية : وجب أن نميز بين عدول النقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والتثبت والإتقان منهم ، وبين أهل الغفلة والتشتت وسوء الحفظ والكذب ، واختراع الأحاديث الكاذبة .

ولما كان الدين هو الذى جاءنا عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ ، بنقل الرواة ، حق علينا معرفتهم ، ووجب الفحص عن النقلة والبحث عن أحوالهم ، وإثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والتثبت فى الرواية ، مما يقتضيه حكم العدالة فى نقل الحديث وروايته ، بأن يكونوا أمناء فى أنفسهم ، علماء بدينهم ، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبت فيه .

وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل ، لا يشوبهم كثير من الغفلات ، ولا تغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ودعوه ، ولا يشبه عليهم بالأغلوطات .

وأن يعزل عنهم الذين جرحهم أهل العدالة ، وكشفوا لنا عن عوراتهم فى كذبهم ، وما كان يعتريهم من غالب الغفلة

وسوءالحفظ وكثرة الغلط والسهو والاشتباه ، ليعرف به أدلة هذا الدين (وأعلامه - ١) وأمناء الله فى أرضه على كتابه وسنة رسول الله ﷺ ، وهم هؤلاء أهل العدالة ، فيتمسك بالذى رووه ويعتمد عليه ، وليعرف أهل الكذب تخرصا وأهل الكذب وهما ، وأهل الغفلة والنسيان والغلط ورداءة الحفظ ، فيكشف عن حالهم وينبئ عن الوجوه التى كان مجرى روايتهم عليها ، إن كذبا فكذب ، وإن وهما فوهم ، وإن غلطا فغلط .

«**طبقات الرواة**» : ثم احتيج إلى تبيين طبقاتهم ومقادير حالاتهم ، وتباين درجاتهم : ليعرف من كان منهم فى منزلة الانتقاد والجهبذة والتنقير والبحث عن الرجال والمعرفة بهم - وهؤلاء هم أهل التزكية والتعديل والجرح .

ويعرف من كان منهم عدلا فى نفسه من أهل التثبت فى الحديث والحفظ له والإتقان فيه - فهؤلاء هم أهل العدالة.

ومنهم الصدوق فى روايته ، الورع فى دينه ، المتثبت الذى يهم أحيانا ، وقد قبله الجهابذة النقاد - فهذا يحتج بحديثه أيضا .

ومنهم الصدوق الورع المغفل الغالب عليه الوهم والخطأ

والسهو والغلط - فهذا يكتب من حديثه الترغيب والترهيب والزهد والآداب ، ولا يحتج بحديثه فى الحلال والحرام .

ومنهم من قد ألصق نفسه بهم ودلسها بينهم - ممن قد ظهر للنقاد العلماء بالرجال منهم الكذب ، فهذا يترك حديثه وتطرح روايته ويسقط ، ولا يشتغل به» أ هـ .

ولقد كان هؤلاء الجهابذة فى سبيل الدين يبدون آراءهم فى أمسِّ الناس بهم ، نصيحة للمسلمين ، وتقوى منهم ، فزيد ابن أبى أنيسة - كما يذكر صحيح مسلم بشرح النووى -

يقول : «لا تأخذوا عن أخى» .

ويُسأل على بن المدينى عن أبيه فيقول :

«سلوا عنه غيرى»

فيعيدون السؤال من جديد ، فيطرق ، ثم يرفع رأسه ، ويقول :

«هو الدين ، إنه ضعيف» .

وكان أمر وكيع بن الجراح طريفا ، فقد كان أبوه رجلا صالحا ، لا مأخذ عليه ، غير أنه كان على بيت المال ، ومن أجل وظيفته هذه كان ابنه - إذا روى عنه - يقرن معه آخر .

لقد كان سلفنا رضوان الله عليهم يعنون بالإسناد عناية فائقة ، حتى لقد قال سفيان الثورى رضى الله عنه :

«الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل ؟» [1] ويفسر الدكتور ناصر الدين الأسد العناية بالإسناد تفسيرا صادقا فيقول ص٢٢٦ من كتابه النفيس : مصادر الشعر الجاهلى :

يبدو لنا أن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث إلى أمرين ، أمر داخلى ، وآخر خارجى .

أما الداخلى فمبعثه من نفس الراوى ، ومصدره شعوره بالتحرج الدينى ، وذلك أنه ينقل كلاما من كلام رسول الله ﷺ ، وهو الذى قال فى حديثه المشهور :

«من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .

وفى الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ثم التابعين والصحابة ، يشتركون معه فى تحمل تبعة هذا الحديث ونقله ، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت .

---

(١) انظر كتاب السنة قبل التدوين ص٢٢٣ .

وأما الأمر الخارجى فمرجعه إلى سامعى الحديث من المحدث ، وذلك أن الحديث يتضمن جزءا كبيرا من السنة ، أو هو السنة كلها ، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ، بل إنه هو المصدر الثانى الذى يلى فى القيمة كتاب الله ، فلذلك كان ما رأيت منهم من التدقيق والتحقيق ، ومما يبعث الطمأنينة فى نفوس السامعين ، ويوحى إليهم بالثقة فى حديث المحدث - أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين ، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول .

مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨ : ٢٥٩ . ١ هـ .

ودخل فى هذا الباب - باب الإسناد - نقد الرواة ، وتصنيفهم إلى فئات يأخذون من بعضها ويتوقفون عن البعض، ويعلنون على ملأ من الناس كذب البعض . وكان لهم فى هذا المجال شعور مرهف ، أو شعور مترف إذا أمكن هذا التعبير .

يقول الإمام مالك رضى الله عنه :

لا يؤخذ العلم عن أربعة :

١ - رجل معلن بالفسق ، وإن كان أروى الناس .

٢ - رجل يكذب فى أحاديث الناس ، وإن كنت لا أتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ .

٣ - وصاحب هوى يدعو الناس إلى هواه .

٤ - وشيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به .

ولقد كان يحيى بن سعيد القطان رحمه الله يترك حديث الكثير ممن يظهر بعض الناس بهم الخير ، فقيل له :

«أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟

فقال : لأن يكون هؤلاء خصمى أحب إلى من أن يكون خصمى رسول الله ، ﷺ ، يقول : لم لم تذب الكذب عن حديثى» .

لقد اتفق المحدثون على ألا يأخذوا الحديث عن :

١ - الكذابين على رسول الله ، ﷺ ، بل لقد اختلفوا فى كفر هؤلاء ، بل لقد اختلفوا فى قبول الله لتوبتهم ، ويكفى أن يعرف الكذب من أحدهم مرة واحدة على رسول الله ، ﷺ ، فيسقط ذلك جميع أحاديثه .

على أن الكذب على الناس كان سببا فى ترك حديث الكذاب، حتى ولو كان يتحرج من الكذب على رسول الله، ﷺ، كما ذكر ذلك الإمام مالك ، رضى الله عنه فيما سبق .

ولأئمتنا فى تعقب الكذابين طرائف :

يقول الأستاذ مصطفى السباعى فى كتابه النفيس : «السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى» : --

مبينا بعض علامات الوضع فى السند ، ومنها أن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقياه له ، أو ولد بعد وفاته ، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه ، كما ادعى مأمون بن أحمد الهروى أنه سمع من هشام بن عمار .

فسأله الحافظ ابن حبان :

متى دخلت الشام ؟

قال : سنة خمسين ومائتين .

قال ابن حبان : فإن هشاما الذى تروى عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين .

وكما حدث عبدالله بن إسحاق الكرمانى عن محمد بن أبى يعقوب ، فقيل له : مات محمد قبل أن تولد بتسع سنين.

وكما حدث محمد بن حاتم المكى، عن عبد بن حميد فقال الحاكم أبو عبدالله : هذا الشيخ سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة .

وفى مقدمة مسلم : أن المعلى بن عرفان قال :

حدثنا أبو وائل ، قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين ، وقال أبو نعيم يعنى الفضل بن دكين ، حاكيه عن المعلى ، أتراه بعث بعد الموت ؟ وذلك لأن ابن مسعود توفى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين ، قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين .

ولاشك أن العمدة فى مثل هذه الحالة على التاريخ ، تاريخ مواليد الرواة ، وإقامتهم ورحلاتهم ، وشيوخهم ، ووفاتهم ، ولذلك كان علم الطبقات قائما بذاته علما لا يستغنى عنه نقاد الحديث .

قال حفص بن غياث القاضى : إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين ، يعنى : سنه ، وسن من كتب عنه .

وقال سفيان الثورى : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التواريخ . ا هـ .

ومن أعجب ما روى فى ذلك ، هو ما يرويه أبو أحمد ابن عدى الحافظ عن الإمام محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الجامع الصحيح ، قال :

«سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد ، فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه .

فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوها إلى عشر أنفس لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين .

فلما اطمأن المجلس بأهله ، انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى :

«لا أعرفه»

فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخارى يقول :

«لا أعرفه»

وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون :

«فهم الرجل»

ومن كان لا يدرى القصة ، يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الحفظ .

ثم انتدب رجل من العشرة أيضا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة .

فقال :

«لا أعرفه»

فسأله عن آخر فقال :

«لا أعرفه»

فما زال يلقى عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته ، والبخارى يقول :

«لا أعرفه»

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة ، والبخارى لا يزيدهم على أن يقول : «لا أعرفه» .

فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال : أما حديثك الأول فقلت كذا ، وصوابه كذا ، وحديثك الثانى كذا، وصوابه كذا ، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام

العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك .

فأقر الناس له بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل» .

قال الحافظ ابن حجر بعد ما حكى هذه القصة «قلت : هنا يخضع للبخارى ! فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، فإنه كان حافظا ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة» .

ونختم هذا الفصل بقول الأستاذ العلامة الكبير الشيخ شبلى النعمانى : «لما أرادت الأمم الأخرى من غير المسلمين أن تجمع فى أطوار نهضتها أقوال رجالها ورواياتهم كان قد فات عليهم زمن طويل ، وانقضى بينها وبينهم عهد بعيد ، فحاولوا كتابة شئون أمة قد خلت ، ولم يميزوا بين غث ذلك الماضى وسمينه ، وصحيحه وسقيمه ، بل لم يعلموا أحوال رواة تلك الأخبار ولا أسماءهم ، ولا تواريخ ولادتهم .

فاكتفوا بأن اصطفوا من أخبار هؤلاء الرواة المجهولين ورواياتهم ما يوافق هواهم ، ويلائم بيئتهم ، وينطبق على مقاييسهم .

ثم لم يمض غير زمن يسير حتى صارت تلك الخرافات

كالحقائق التاريخية المدونة فى الكتب . وعلى هذا المنهاج السقيم صنفت أكثر الكتب الأدبية مما يتعلق بالأمم الخوالى وشئونها والأقوام القديمة وأخبارها ،والأديان السالفة ومذاهبها ورجالها .

أما المسلمون فقد جعلوا لرواية الأخبار والسير قواعد محكمة يرجعون إليها ، وأصولا متقنة يتمسكون بها :

أولها : وأعلاها ألا تروى واقعة من الوقائع إلا عن الذى شهدها ، وكلما بعد العهد على هذه الواقعة فمن الواجب تسمية من نقل خبرها عن الذى شهدها ، ثم تسمية من نقل ذلك الخبر عن الذى نقله عمن شهد، وهكذا بالتسلسل من وقت الاستشهاد بالواقعة والتحدث عنها إلى زمن وقوعها ، والتثبت عن أمانة هؤلاء الرواة ، وفقههم وعدالتهم وحسن تحملهم للخبر الذى يروونه .

وإذا كانوا على خلاف ذلك ، وجب تبيينه أيضا .

وهذه المهمة من أشق الأمور ، ومع ذلك فإن مئات من المحدثين تفرغوا لها ، ووقفوا أعمارهم على تحرى ذلك واستقصائه وتدوينه ، وطافوا لأجله البلاد ، ورحلوا بين الأقطار ، باحثين دارسين لأحوال الرواة ، وكانوا يلقون المعاصرين لهم من الرواة لينقدوا أحوالهم .

وإذا اطمأنوا إلى سيرة فريق منهم سألوهم عما يعرفونه من أحوال الطبقة التى كانت قبلهم .

وقد اجتمع من هذا المجهود العلمى العظيم علم مستقل من العلوم الإسلامية أطلق عليه فيما بعد عنوان (أسماء الرجال) فتيسر لمن أتى بعدهم أن يقفوا على أقدار مئات الألوف من الحفاظ والعلماء والرواة وغيرهم .

***

الفصل الرابع

الوضاعون فى العصر الحاضر

يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

والفاسق هو الذى لا تتوافر فيه شروط العدالة ، ولقد وضع أئمتنا شروطا للعدالة ، نذكر منها أن :

من شرط العدل : أن يتوافر فيه الصدق بمعناه الأعم الأشمل الذى يدخل فيه : عدم تزييف النص بزيادة أو نقصان، والذى يدخل فيه أولا ، وبالذات عدم الكذب فى الرواية ، وعدم الكذب فى الحديث العادى .

ولا نريد هنا أن نستقصى ما قيل فى العدالة ، وإنما نريد أن ننقل بعض نصوص لنرى ، فيما بعد ، تطبيقها على بعض المؤلفين الحديثين .

إننا نتبين دقة أسلافنا الدقيقة مما قاله الشعبى وأقسم عليه ، وله مغزاه العميق فى بيان مدى ما كان عليه أسلافنا ، رضى الله عنهم ، من تحر للصواب : يقول الشعبى :

«والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة ، وأخطأت مرة ، لعدوا على تلك الواحدة» .

وكان أسلافنا يعتبرون الإعلان عن الكذابين وفضحهم والتشهير بهم : من الدين: يقول عبدالرحمن بن مهدى :

سألت شعبة : وابن المبارك والثورى ، ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب ، فقالوا :

«انشره فإنه دين»

وعن يحيى بن سعيد قال : سألت سفيان الثورى ، وشعبة ، ومالكا ، وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتا فى الحديث ، فيأتينى الرجل ، فيسألنى عنه .

قالوا : أخبر عنه ، أنه ليس بثبت .

ولقد قال رسول الله (ﷺ) :

«من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .

وهذا الذى يكذب على رسول الله فيتبوأ مقعده من النار: فاسق يجب التشهير به ، وهو فاسق قد سقطت عدالته، ومن سقطت عدالته فإنه يجب على كل مؤمن أن لا يثق فى حديثه ولا فى رأيه ، أو نتائج بحثه . ومن ثبت عليه الكذب أو

الغش ، أو الزيادة فى النص ، أو النقصان منه ، ليثبت بالزيادة أو النقصان رأيا يتفق مع هواه ، ومع نزعاته : إن كل من يفعل ذلك فقد سقطت عدالته .

على أن من يزيد فى النص أو ينقص منه ، أو يحرف فيه : يتعمد ذلك للحط من إنسان أو للنيل منه ، فإنه ، من الناحية الإنسانية : قد نزل إلى مرتبة تأنف الإنسانية السليمة منها ، وانحط إلى درجة تنفر الفطرة الطاهرة منها .

وبعد هذا نقول : إنه نشأ فى زمننا هذا طائفة من الناس يزعمون أنهم من الباحثين على الأسلوب الحديث ، أسلوب النقد والتمحيص ، والتثبت فيما يزعمون .

وما من شك فى أن أسلوب النقد والتمحيص فى الحديث وفى رواية الحديث أسلوب البحث العلمى بأدق ما يمكن أن تعبر عنه هذه الكلمة ، إنما وجد حقا عند أسلافنا من المحدثين ، إنهم هم أصحاب المنهج العلمى الدقيق فى كتابة التاريخ ، إنهم المخترعون له ، ولا يزالون للآن أدق من اتبعه ، وطبقه فى صدق ، والمؤرخون المحدثون لم يصلوا بعد إلى ما وصل إليه سادتنا المحدثون القدماء من الدقة العلمية .

ولا نريد أن نتعجل فنقول :

إن هؤلاء الذين يزعمون فى العصر الحاضر أنهم قد تمحضوا للبحث العلمى : ليسوا من البحث العلمى فى شيء ، ولنتريث قليلا حتى نطبق عليهم مقاييس أسلافنا فى العدالة ، لنرى ما إذا كانوا أهلا للثقة أم ليسوا بأهل لها ؟

لقد كان أسلافنا يكتفون بثبوت الكذب مرة واحدة على شخص فيسقطونه من قائمة العدول ، فإذا ثبت مثل ذلك على هؤلاء الكتاب المحدثين فإننا نسقطهم من طبقة العدول ، ونضعهم فى قائمة الذين وصفهم الله بالفسق ، حين قال فيهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

لقد أراد قوم - من نقلة البحث العلمى - التشكيك فى السنة ، بل هدم السنة رأسا ، وهؤلاء تقودهم أهواء مختلفة :

ولننظر الآن إلى أى مدى يصل بهم تحريف الكلم عن مواضعه وتزييفه والكذب فيه إرضاء لنزعتهم الفاسدة : يقول المرحوم الأستاذ مصطفى السباعى فى كتابه النفيس : «السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى» : متحدثا عن الكذب والتحريف والبهتان الموجود فى كتاب: «أضواء على السنة» [1].

---

(١) أضواء على السنة للأستاذ محمود أبو رية .

١ - يقول فى الهامش رقم ٣ من صحيفة ١٦٢ من كتابه، عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه :

وكان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويها للناس «عن النبى» ثم نسب هذا القول إلى ابن حجر فى فتح البارى ص١٦٦ ج١ . وعبارته فى الفتح ليس فيها «عن النبى» وإنما زادها أبو رية ، ونسبها إلى الحافظ ابن حجر : ليؤكد للقارئ الشك فى أحاديث صحابة رسول الله ، ﷺ ، الذين كان بعضهم يستمع إلى مسلمة أهل الكتاب يتحدثون عن أخبار الأمم الماضية ، فمنهم من كان ينقلها عنهم على أنها قصص متعلق بالماضين .

ولكن أبا رية كان يتهمهم بأنهم كانوا «ينسبونها» إلى النبى ، ﷺ ! ..

ولم يكتف بذلك البهتان حتى نسبه إلى الحافظ ابن حجر ، وهو لم يقله قط ، ولا يقوله مسلم يعرف ما كان عليه هذا الجيل الفذ فى تاريخ الإنسانية من صدق اللهجة ، واستقامة الدين ، ووقوف عند حدود الله فيما أمر وفيما نهى، وهم يعلمون أن الله لعن الكاذبين ومقتهم ، وليس أقر لعيون أعداء الله والإسلام من أن يرموا بما رماهم به «أبو رية» .

٢ - ونقل فى ص١١٥ عن ابن كثير فى البداية والنهاية : ص٢٠٦ ج ٨ أن عمر ، رضى الله عنه قال لكعب الأحبار :

لتتركن الحديث «عن رسول الله» أو لألحقنك بأرض القردة .

وعبارة ابن كثير : لتتركن الحديث عن «الأول» وليس فيها «عن رسول الله» ولكن «أمانة» أبى رية أجازت له تحريف هذا النص ليثبت ما ادعاه من أن كعبا كان يحدث عن رسول الله ، ﷺ ، وأن الصحابة كانوا يأخذون عنه الحديث .

وهذه الفرية دسها المستشرقون اليهود أمثال «جولد زيهر» ليدعوا تأثير اليهودية فى الدين الإسلامى ! . فتلقفها منهم «المحقق العلمى أبو رية» وتبرع لهم بإثبات الأدلة .

٣ - ونقل فى ص١٦٣ عن البداية والنهاية لابن كثير ص١٠٦ ج ٨ أن عمر ، رضى الله عنه ، هدد أبا هريرة بترك الحديث أو ليلقينه بأرض دوس «أو بأرض القردة» .

وهذه الزيادة «أو بأرض القردة» من مفتريات أبى رية على عمر وابن كثير معا .. وإنما قالها عمر لكعب كما مر يهدده فى ترك الحديث عن «الأول» أى الأمم الماضية - كما نقل ذلك ابن كثير .

٤ - نقل أبو رية فى عدة مواضع من بحثه عن أبى هريرة نصوصا فى تكذيب عمر ، وعثمان ، وعلى ، وعائشة ، وغيرهم ، لأبى هريرة ، ثم نسبها إلى ابن قتيبة فى «تأويل مختلف الحديث» .

وترجم أبو رية لابن قتيبة فى هامش كتابه بأنه كان لأهل السنة كالجاحظ للمعتزلة فى قوة البيان والحجة ، وقصده من ذلك تأكيد تضليل القارئ بأن رجلا كابن قتيبة له مكانته بين أهل السنة ، يطعن فى أبى هريرة هذا الطعن . دليل على صحة ما يذهب إليه أبو رية من تكذيب أبى هريرة فيما يرويه عن رسول الله ، ﷺ .

مع أن ابن قتيبة ألَّف كتابه : «تأويل مختلف الحديث» للرد على من طعن فى أئمة الحديث ، منذ عصر الصحابة حتى عصره ، وأخبر أنهم : هم رؤساء الاعتزال كالنظام وأمثاله وآخرين . ثم ساق ابن قتيبة شتائم النظام لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبى هريرة وغيرهم من كبار الصحابة ، ثم كر بالرد عليه وتفنيد ما قاله عن كل واحد من هؤلاء .

فأخذ «أبو رية» ما قاله النظام فى أبى هريرة ونسبه إلى

ابن قتيبة، وتعامى عن رد ابن قتيبة على النظام ، وهكذا تكون الأمانة «الأمانة العلمية» عند هذا «المحقق العلمى» ! ...

٥ - ونقل فى ص ١٩٥ عن المرحوم السيد رشيد رضا كلاما عن كعب ووهب بن منبه قال فيه :

«وما يدرينا أن كل الروايات - أو الموقوفة منها - ترجع إليها» مع أن العبارة : «وما يدرينا أن كل (تلك) الروايات إلخ . فأسقط أبو رية كلمة «تلك» والتى أشار بها السيد رشيد - رحمه الله - إلى مرويات كعب ووهب عن أهل الكتاب ، لتجىء العبارة موهمة بأن كل روايات الصحابة ترجع إليها .. فانظر إلى هذا الدس والتلاعب فى نقل النصوص لتتفق مع أهوائه وأغراضه .

هذه أمثلة لا مجال للمناقشة فيها تدل على تلاعبه فى النصوص التى ينقلها ، ونسبتها إلى غير قائليها .

وأشهد أنى لا أعلم أحدا من أشد المستشرقين تعصبا ودسا ، بلغت جرأته فى تحريف النصوص والتلاعب فيها كما بلغت جرأة أبى رية ، فماذا نقول فى هذا «العلامة المحقق الأمين؟» .

إن مقاييس أسلافنا ، بل مقاييس البحث العلمى

الصحيح فى كل عصر ، تسقط عدالة أبى رية ، وتنفيه عن دائرة الباحثين وتسحب الثقة منه كلية .

لا ندرى لماذا يحاول بعض المسلمين أن يكونوا أبواقا للمستشرقين ، وللمستشرقين فى الشرق صبيان معروفون : إن لهم صبيانا مأجورين ، وإن لهم صبيانا ملاحدة ، وإن لهم صبيانا تابعين ومقلدين .

فلنتحدث إذن عن المستشرقين فى صورة صريحة : من المعروف أن الاستشراق - فى طائفة كبيرة منه - إنما هو امتداد للحروب الصليبية .

إن الغربيين يريدون بكل وسيلة القضاء على الإسلام ، كقوة لها ذاتيتها ، وأصالتها ، ومنهجها فى الحياة : وهم يستعملون من أجل ذلك كل الوسائل :

إنهم يستعملون السلاح فى قسوة قاسية ، وفى عنف عنيف حينما يمكنهم استعمال السلاح ، فإذا لم تواتهم الظروف ، استعملوا أسلحة أخرى : منها الاستشراق .

وكثيرا ما يرافق الاستشراق المدفع والدبابة فى الأقطار المستعمرة . وهدف الاستشراق إفساد ما يمكن إفساده من الدين ، وبالتالى من الخلق . وقد وضح - على مر الأيام - أن من خصائص الاستشراق أنه :

١ - متأثر بالبيئة التى نشأ فيها المستشرقون : ولقد عبر عن هذه الحقيقة أبلغ تعبير أحد الغربيين الذين كانوا يريدون معرفة الحقيقة عن سيدنا محمد ، ﷺ ، فقرأ كتبا عنه بعدة لغات ثم قال :

إن صورة نبى الإسلام صورة فرنسية إذا كانت بقلم الفرنسيين ، وهى ألمانية إذا كانت بقلم الألمانيين ، وهى أمريكية إذا كانت بقلم الأمريكيين ، وهى ..... وهذا فيما يتعلق بالبيئة الاجتماعية .

٢ - والاستشراق متأثر بالبيئة الدينية ، ومن الطبيعى الواضح أنه إذا كان المستشرق مؤمنا بدينه : فإنه يكتب عن الإسلام ، مؤمنا بأنه دين مزيف .

ولا أدرى كيف يعزب ذلك - مع بداهته - عن أذهان المسلمين الذى يقرءون الإسلاميات بقلم المستشرقين ، فيولونهم شيئا من الثقة . أو يولونهم كل الثقة حسب درجة استعداد القارئ للتقليد والمتابعة .

٣ - ومن المعروف اليقينى أن الاستشراق - فى أغلبه - يسير فى ركاب الاستعمار ، أو فى ركاب الكنيسة .

إن ذلك ظاهر واضح لكل من قرأ تاريخ الاستشراق وصلته بالكنيسة والاستعمار .

ومن أجل ذلك لم يكن غريبا أن يزيف الاستشراق الحقائق . وهو إن لم يزيفها وطنية : يزيفها تدينا وإن لم يزيفها تدينا زيفها وطنية : فإذا لم تقو الوطنية وحدها أو التدين وحده على حمل الاستشراق على التزييف ، تكاتف التدين والوطنية معا فحملاه - متعاونين - على التزييف ، فزيف تدينا ووطنية .

إنك لا تنتظر من قسيس يعيش فى الكنيسة مثل : أزين بلاسيوس ، حينما يكتب عن الإسلام ، إلا مسخا وتشويها كما فعل ذلك حينما كتب كتابه المعروف بالعنوان الذى لا يتسم بأدب ولا بمجاملة ، وهو : «الإسلام المسيحى».

أما القسيس لامنس فقد وهب حياته لهدم الإسلام عقيدة ، ولهدم الإسلام تاريخا ، ولهدم الإسلام رجالا ، ولهدم الإسلام فى كل ما يتعلق به .

إن المستشرقين القساوسة : عدد لا يحصى ، أما المستشرقون المستشارون فى وزارات الخارجية الغربية ، وفى وزارات الدفاع والحربية ، وفى وزارات الإعلام والدعاية : فإنهم أيضا عدد لا يكاد يحصى .

ماذا تنتظر من مستشرق هو مستشار فى وزارة

الدعاية، أو فى وزارة الحربية ، أو فى وزارة الخارجية ؟ ، إن السذاجة مهما وصلت درجتها لا يتأتى أن تولى ثقتها لمستشرق يأكل عيشه من سيره فى ركاب الاستعمار ، أو فى ركاب الكنيسة .

٤ - وطائفة من المستشرقين مستعدة أن تسير فى أى ركاب لأنها تسير فى ركاب الشيطان :

تلك هى طائفة المستشرقين اليهود .

إن كتاب : بروتوكولات حكماء صهيون ، أو كتاب : «الخطر الصهيونى» يبين فى وضوح أن اليهود قد آلوا على أنفسهم أن يفسدوا على الإنسانية دينها وخلقها وثقافتها . وقد منى الإسلام بطائفة من المستشرقين اليهود على درجة من الخبث والمكر والدهاء . يعجب لها الشيطان نفسه .

أرأيت إلى الذكاء الحاد الخبيث حينما يستعمله صاحبه جاهدا لا يفتر فى أغراض شيطانية ، يريد بذلك أن يفسد على المسلمين مثلهم العليا فى الفضيلة والخير ، وإيمانهم الراسخ فى الله وفى رسوله ..؟

إن هذا الذكاء الحاد الخبيث الذى أخذ يعمل لا يفتر ، قد تركز فى بضعة أفراد من اليهود - كأخبث ما يكون اليهود - على رأسهم جولدزيهر .

ولقد كان جولدزيهر حركة لا تفتر فى الإفساد والتشويه، وساعده مال اليهود ودعايتهم ، فترجموا ونشروا أفكاره فى كل مكان ، حتى لقد ترجمت كتبه الخبيثة إلى اللغة العربية نفسها ، ونشرت فى مختلف الأقطار الإسلامية : تذيع الكذب فى صورة البحث العلمى ، وتنشر التشويه فى صورة الحقائق الثابتة ، وتدعو إلى الشك فيما لا يتأتى فيه الشك ، واغترت به طائفة من المغرورين ، وظنت أن أبحاثه علمية ، وأنه باحث متثبت ، وعالم يتحرى الحقائق .

وإلى هؤلاء ، وإلى كل من يثق بالمستشرقين نذكر مثالين اثنين - من عشرات الأمثلة - التى تعمد جولدزيهر ، أن يكذب ، وأن يحرف الكلم عن مواضعه فيها . وهذان المثالان إنما هما نموذج لأعمال كثير من المستشرقين العلمية . يقول المرحوم مصطفى السباعى :

«زعم جولد تسيهر أن الزهرى اعترف اعترافا خطيرا فى قوله الذى رواه عنه معمر :

«إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث»

وأن ذلك يفهم استعداد الزهرى لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية . قدمنا لك

عند الحديث عن صدق الزهرى وجرأته ، أنه أبعد الناس عن الرضوخ لأهواء الحاكمين ، وذكرنا لك من الوقائع التاريخية بينه وبين خلفاء بنى أمية ، ما تجزم معه بأنه ليس ذلك الرجل المستعد لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند المسلمين .

أما هذا النص الذى نقله ففيه تحريف بسيط يقلب المعنى رأسا على عقب ، وأصله ، كما فى ابن عساكر وابن سعد :

أن الزهرى كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس - ويظهر أنه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم ، ولا يتكلوا على الكتب ، كما ذكرنا من قبل - فلما طلب منه هشام وأصر عليه أن يملى على ولده ليمتحن حفظه كما تقدم ، وأملى عليه أربعمائة حديث ، خرج من عنده وقال بأعلى صوته : «أيها الناس إنا كنا منعناكم أمرا قد بذلناه الآن لهؤلاء ، وإن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة «الأحاديث» فتعالوا حتى أحدثكم بها ، فحدثهم بالأربعمائة «الحديث» .

هذا هو النص التاريخى لقول الزهرى ، وقد رواه الخطيب بلفظ آخر وهو :

كنا نكره كتاب العلم - أى كتابته ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين ا هـ» - «تقييد العلم ص١٠٧» .

فانظر كم الفرق بين أن يكون قول الزهرى ، كما روى جولد تسيهر : «أكرهونا على كتابة أحاديث» وبين أن يكون كما رواه المؤرخون : «أكرهونا على كتابة الأحاديث» أو كما رواه الخطيب «على كتاب العلم ؟ » ، ثم انظر إلى هذه الأمانة العلمية «حذف» «ال» من «الأحاديث» فقلبت الفضيلة رذيلة .. حيث كان النص الأصلى يدل على أمانة الزهرى وإخلاصه فى نشر العلم ، فلم يرض أن يبذل للأمراء ما منعه عن عامة الناس إلا أن يبذله للناس جميعا ، فإذا أمانة هذا المستشرق تجعله ينسب للزهرى أنه وضع للأمراء أحاديث أكرهوه عليها، فأين هذا من ذاك ؟؟!

أما ما نقله «جولد تسيهر» من قول وكيع عن زياد بن عبدالله من أنه كان مع شرفه فى الحديث - كذابا . فهذه إحدى تحريفات هذا المستشرق الخبيث ، فأصل العبارة كما وردت فى التاريخ للإمام البخارى : وقال ابن عقبة الدوسى عن وكيع : هو (أى زياد بن عبدالله) أشرف من أن يكذب . (القسم الأول الجزء الثانى ص٣٢٩) .

فأنت ترى أن وكيعا ينفى عن زياد بن عبدالله الكذب مطلقا ، لا فى الحديث فحسب ، وأنه أشرف من أن يكذب ، فحرفها هذا المستشرق اليهودى إلى أنه كان - مع شرفه فى الحديث - كذوبا . وهكذا تكون أمانة هذا المستشرق !!!

إن المستشرقين وأتباعهم من الملاحدة والمأجورين والمقلدين هم الوضاعون فى العصر الحاضر .

ولكن الله سبحانه : قد هيأ للسنة تدوينا صحيحا ، وتسجيلا متقنا ، ورجالا كرسوا حياتهم لها ، يدافعون عنها عصرا بعد عصر ، وينشرون أريجها جيلا بعد جيل ، مذيعين وشارحين ، ناشرين وموضحين . وإن «دار الحديث» المباركة لتقفو أثرهم ، وتسير على منوالهم ، والأمل فيها كبير ، إن شاء الله ، والرجاء فيها عظيم بإذن الله .

إنها دار للجهاد فى سبيل الله ولنصرة سنة رسول الله ﷺ ، أسست على التقوى من أول يوم تبتغى مرضاة الله ورسوله ﷺ :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ .

❊ ❊ ❊

من مراجع الكتاب

١ - صحيح البخارى .
٢ - السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى : للمرحوم الأستاذ مصطفى السباعى .
٣ - السنة قبل التدوين : للأستاذ عجاج نويهض .
٤ - الرسالة للإمام الشافعى .
٥ - رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن الندوى .
٦ - الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوى .
٧ - الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهو .

الفهرس



دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

سنة رسول الله ﷺ : لها مكانتها بالنسبة إلى القرآن ولها مكانتها بالنسبة إلى التشريع .

إنها المصدر الثانى للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثانى للإسلام باعتباره تشريعًا، والمصدر الثانى للإسلام باعتباره أخلاقًا .

أما منزلتها بالنسبة إلى القرآن فإنها ، حسبما يقول الإمام الشافعى : « وسنن رسول الله ، ﷺ ، مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : نص كتاب ، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله .

والآخر : جملة ، بين رسول الله فيها عن الله معنى ما أراده بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عامًا، أو خاصًا ، وكيف أراد أن يأتى به العباد . وكلاهما اتبع فيه كتاب الله .

عبد الحليم محمود